١٠٨٨
1088
HARLEQUIN
دار م. النحاس

حب زائف

ستيفاني هاورد

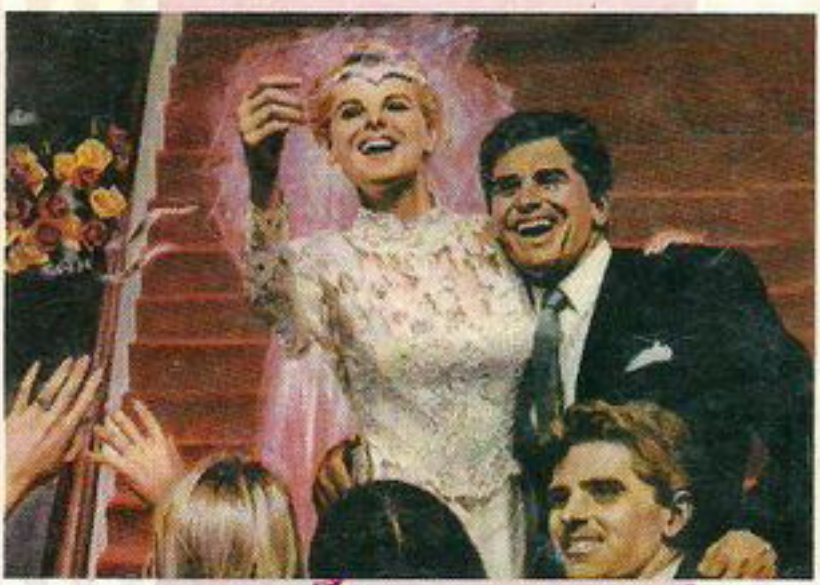

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

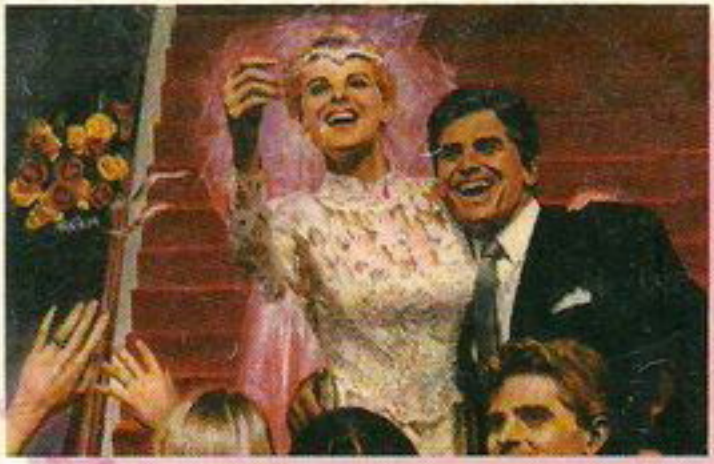

حب زائف

ستيفاني هاورد

سالي أحبت جوش، لطالما احبته. لكنه لم يظهر لها الا الصداقة لأنه يعتقدها انها لصة. لقد اعتقد ذلك منذ ان كانت طفلة. والآن بعد كل هذه السنوات، مازال واثق بانها قادرة على الغش. حسناً، لن تستسلم لذلك. سوف تثبت له بأنه مخطىء ثم تمضي ورأسها مرفوع...

لبنان: ٢٠٠٠ ل.ل - سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١,٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان ١ ريال. - تونس: ٢ دينار

«ليس كل النساء يجدنك لا تقاوم.»

«هل هذا ما أؤمن به؟»

«هل تنكر ذلك حقاً؟» رمته بهذا التحدي بغضب ظاهر، مع أن الغضب الذي شعرت به كان في نفسها بقدر ما كان منه. لِمَ كانت تشعر بهذا النقاش الخطير؟ لِمَ لا تضع حداً لهذا الأمر ببساطة؟

لكنها لم تفعل، على العكس، اضافت: «أنت آمنت بذلك دائماً، انه لا يوجد امرأة قادرة على مقاومتك.»

ستيفاني هاورد

ولدت وترعرعت في داندي في اسكوتلندا، وتلقت تعليمها في مدرسة لندن في مجال الاقتصاد. عملت لعشر سنوات كصحافية في لندن في عدة مجلات نسائية من بينها مجلة وومنز أون. وكانت مؤخراً محررة مجلة هني المتوقفة حالياً. قضت عدة سنوات في العمل خارج البلاد في ايطاليا، ماليزيا، الفليبين وفي الشرق الأوسط. حالياً هي تعيش في كنت.

١٠٨٨ عبير

Abir 1088

حب زائف

ستيفاني هاورد

دار
م. النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الأول

كانت سالي تضع رسالة في صندوق البريد الموجود عند الزاوية عندما احست بخيال شخص امامها فجأة.

رفعت نظرها مذهولة لترى جوش يقف امامها. بدا ذلك وكأنه سهم محكم أصابها.

اختلست النظر مصدومة باتجاه الشخص، ذو الشعر الأسود والعينين الخارقتين والكتفين العريضتين المتناسقتين مع القميص، واضعاً يداه بتكاسل داخل جيبي بنطاله. واحست بأن دماءها قد تحولت إلى جليد في اوردتها.

لكن سرعان ما استجمعت قواها وقالت وهي تنظر اليه: «أنا اتساءل ماذا فعلت لأستحق هذا؟»

«وأنا أتساءل، فعلاً.»

كان متكئاً على صندوق البريد، بصورة متألقة، لرجولة متعجرفة، مبتسماً لها تلك الابتسامة التي عرفتها جيداً وكرهتها. ابتسامة رجل يعرف بأنه يمتلك الكثير.

قاومت رغبتها في أن تمد يدها إلى شعرها لتملسه أو تتحقق من أن ازرار البلوزة كلها مغلقة بلياقة، وحقيقة قدرتها على مقاومة ذلك كانت انتصاراً ضئيلاً، ساراً، لأنها سابقاً لم تكن قادرة على المقاومة. لقد خضعت من قبل للاضطراب الذي ولده فيها، حيث سادها ذلك الشعور بالحساسية، وحتى الآن، لا زالت قادرة على تذكر كل ذلك جيداً.

لكن مع ان اضطرابها انفجر في داخلها الا انها كانت قادرة على كبته بسرعة. عرفت انه ينظر باتجاهها، الا انها لم تعد تكترث كثيراً.

انه ينظر اليها الآن باسلوب اكثر بساطة! تلك الابتسامة المتعجرفة الساخرة لا تزال ترتسم حول شفتيه. اخبرها، وعيناه تجولان عليها: «كنت أبحث عنك، لقد اخبروني انك ذهبت للخارج بشأن عمل. كنت في طريقي إلى البيت عندما لمحتك فجأة.»

انحنى بصورة مريحة أكثر باتجاه صندوق البريد: «ألا يعتبر ذلك ضرباً من ضروب الحظ؟»

«انه ضرباً مدهشاً من ضروب الحظ.»

عبست سالي سراً وجاهدت لكبت انذار الخطر المفاجيء، كم مضى منذ آخر لقاء لهما؟ حوالي ثمانية عشر شهراً. نادراً ما أتى جوش في تلك الأيام إلى القرية إذ أن عمله الدولي قد استقر في لندن. وذلك اللقاء الأخير قد مر بسرعة وبالكاد كان لطيفاً، فقط مثل لقاءاتهما الأخرى السابقة. لو أنه جاء ليبحث عنها الآن، فهذا يعني شيئاً واحداً، المتاعب. عندما دخل جوش حياتها، كان يعني المتاعب دائماً.

ابتسم لها، مدركاً تماماً ما تفكر به. شعرت سالي بمرحه ما إن قال: «أجل، هذا ما اعتقدته، ايضاً. ضرباً مدهشاً من ضروب الحظ.» جالت عيناه السوداوان عليها بتعجرف ثم أضاف بلا مبالاة: «كنت هناك، اقود سيارتي عائداً إلى عمتي ميمي، مستسلماً للأمر الواقع بأنني لن أجدك أبداً، عندما لمحتك فجأة تعبرين الطريق، في طريقك لارسال رسالة. بصراحة، لم أكن ابداً اكثر سعادة.»

«كم هو غريب.» نظرت اليه سالي من خلال عينين خضراوين مرتابتين: «لست دائماً بهذه السعادة لرؤيتي.»

«ألست كذلك؟»

«حتماً لا.»

ابتسم جوش: «محتمل ان تكوني على حق.» ضاقت عيناه السوداوان خلف الرموش القاتمة. «اعتقد بأنني كنت سعيداً إلى هذا الحد لأنك انقذتني من عناء البحث عنك. انت تعرفين كم اكره اضاعة الوقت.»

ذلك صحيح تماماً. اومأت سالي بالفهم، فلطالما كان جوش رجلاً على عجلة من أمره. حتى عندما كان صغيراً فقد كانت تحس بنفاد صبره. لقد عرفت بأنه يتسلق المرتفعات العالية، بسرعة.

كانت طاقة لا حدود لها وصفتها بأنها متدفقة ومسيطرة في آن معاً، وما زالت تشع منه حتى وهو متكيء الآن إلى صندوق البريد، مثل شرارات كهربائية.

قالت له: «يا للأسف، إذن، لقد اندفعت امامك فجأة وبكل سهولة. ولكني على الأرجح افضل فكرة اضطرارك للبحث عني.»

نظر جوش في عينيها: «اراهن انك كذلك، واراهن انك قد فضلت أيضاً لو أنني لم أجدك.»

ذلك الادعاء، كما يعرفان، لا يحتاج إلى اثبات فعلي.

كانت عينا سالي الخضراوان الناعمتان تنظران اليه بتحجر، مأخوذة بسمرة وجهه، شعره الأسود اللامع، عيناه السوداوان المتألقتان، وشعرت بالخطر يتضاعف لديها.

وجدت نفسها تفكر، انه يبدو وسيماً كما بدا دائماً. لو أنه

كان اي شخص سوى جوش، فان مجرد رؤيته سوف تبدلها وتشعرها بالسعادة.

لكنه كان جوش، إذاً فكيف يمكنها فعل أي شيء سوى التمني من كل قلبها لو انه لم يجدها ابداً، في حين ان كل ما سببه لها هو المعاناة والعار؟

«إذاً، الست على وشك ارسال الرسالة؟»

جفلت عندما تكلم، واختلست النظر باتجاه الرسالة التي نسيت كل شيء بشأنها مع انها لازالت تمسكها بيدها.

أضاف: «ظننت ان هذا هدفك؟»

«أجل، هذا هو هدفي.» استجمعت نفسها ودفعت الرسالة داخل الصندوق بنشاط: «لقد وضعتها!» وبينما كانت الرسالة تنزلق إلى الداخل، كان باستطاعتها ان تستدير وترحل!

أمل خائب! كان واضحاً ان جوش لن ينتهي معها سريعاً، واجهته وسألته، وكأنها امسكت بخيوط خفية، ليست متأكدة تماماً من رغبتها في سماع الجواب: «إذاً، لأي سبب هام كنت تبحث عني؟»

«ربما لمجرد ان القي التحية.»

رفعت رأسها بحركة مفاجئة وقالت: «اوه، اجل، أصدق ذلك! ارى انك لم تفقد حس الدعابة.» تظاهرت بأنها تستدير للذهاب: «في تلك الحالة بما انك القيت التحية، فمن دواعي سروري الآن أن اقول وداعاً!»

اوقفها، وكأنها تعرف بأنه سيفعل، تحرك ببطء، ليسد طريقها.

قطب جبينه قائلاً: «لو ان الأمر بهذه البساطة فقط، فان

ذلك سيكون اكثر سعادة لكلانا. لكن، واحسرتاه، فهناك اكثر من ذلك.»

«توقعت ان يكون الأمر كذلك.» انقبض قلب سالي في داخلها.

تألقت العينان السوداوان امامها، وقد كانتا تنذران أيضاً. بالكاد كان هناك اثراً لمزاحه المتعجرف السابق الآن.

أضافت وهي تخفي حدتها: «إذاً ماذا تريد مني؟»

استقام اكثر واخبرها قائلاً: «ليس هنا. اختاري بيتي أو بيتك. انني اتساهل معك.»

يتساهل؟ كان ذلك مضحكاً! فجوش كانت لديه صفات كثيرة الا انه لم يصف في حياته على انه متساهل ابداً!

لم تعلق على ذلك. بل عوضاً، وبطريقة عرضية قدر الامكان، سألته: «هل هو ملزماً الآن فوراً؟»

«ليس ملزماً. إن كنت تفضلين، يمكن ان يكون هذا المساء.» جالت العينان السوداوان عليها وتابع: «لم، هل أنت على عجل؟»

«قليلاً.» كان تفكيرها يتحرك باضطراب. هل سيكون من الأفضل ان تؤجل الموعد؟ أو، هل تنهي كل شيء الآن مهما يكن؟

ابتسم مرة ثانية: «لقد اخترت الموعد. أرأيت كم أنا متساهل؟ انني متساهل بشأن ذلك، أيضاً.»

كان يهزأ بها. بدا ذلك واضحاً. لقد أثار عصبيتها وهذا شيء يرضيه، ارتابت سالي، بشأن التخلص من هذا الصراع. لذلك قررت: «حسناً، لنجعل ذلك الآن.»

فكرت، لن العب لعبته الحقيرة. لن أدعه يؤثر علي. وإضافة إلى ذلك، ليس هناك سبب، لأن تكون عصبية. فلا سلطة له عليها، ولا تأثير على حياتها.

اضافت بنبرة حادة: «نستطيع التحدث في المتجر، كنت في طريقي إلى هناك على أية حال.»

«هذا يناسبني جداً. لنلتقي في المتجر، اذاً.» استدار وأشار إلى حيث كانت سيارته متوقفة، خلف شاحنة سالي الصغيرة عبر الشارع: «سأراك هناك بعد حوالي خمس دقائق.»

«خمس دقائق. حسناً.» اومأت سالي بالموافقة، بلمحة اخيرة باتجاهها، توجه إلى سيارته الحمراء اللون، الايطالية الصنع، المخيفة الخطرة والتي تعكس بعض الشيء شخصية مالكها. ومع أن خطوتها كانت ثابتة بينما هي تمشي خلفه عبر الطريق، شعرت فجأة بأن قلبها اصبح ثقيلاً في داخلها.

ماذا يريد منها؟ تمنت ان يكون امراً بسيطاً، امراً يمكن معالجته بأقل نسبة من الجراح.

وكيف يمكن ان يكون أي أمر آخر؟ طمأنت نفسها بسرعة. هذه الأيام، اصبحت طريقة حياتهما متباعدة تماماً. حياتها، المتجر، رسمها وكلايف، كانت بأمان بعيداً عن جوش المحطم. لم يكن هناك اي اذى محتمل باستطاعته ان يلحقه بها.

لكن ما أن جلست خلف عجلة القيادة حتى رأت من خلال مرآة شاحنتها، سيارة الفيراري الحمراء تهدر بحيوية، عرفت من أعماق قلبها بأنها كانت تخدع نفسها. لطالما عانت من المتاعب لابتعادها عن جوش.

وما ان رأى عينيها في المرآة وابتسم، حتى استقر الرعب في جوف معدتها. فقد ارتابت بأن كل وجه من اوجه حياتها، سوف ينقلب بقساوة رأساً على عقب.

في الوقت الذي وصلت فيه إلى المتجر استجمعت سالي كل قواها.

لقد شاهدت الفيراري الحمراء تختفي قدماً من امامها إلى أسفل الطريق الترابية، المزروعة بشجر الجميز على كلا الجانبين، قالت لنفسها بصوت ثابت اثنان من الحقائب الأساسية؟

الأولى، هي أن جوش كينغسلي كان وغداً أنانياً توجب عليها أن تكون اكثر وعياً من ان تسمح له بازعاجها. هل حقاً قد نضجت بالنسبة لمثل هذا الإحساس منذ زمن بعيد؟

اما الحقيقة الثانية، فعلى الرغم من طبيعته المسببة للمتاعب، إلا لم يكن هناك اي سبب للخوف من انه قد يسبب لها المتاعب. وبكل بساطة، إن من الحماقة أن تتوهم بأنه قادر على ذلك.

لقد كان ذلك الاحتقار الذي كانت تحسه في داخله، والطريقة التي ينظر اليها بها، ما زال قوياً لإيقاظ المخاوف الغير منطقية.

اقتربت إلى خارج المتجر الذي يبعد قليلاً عن الطريق، في قلب قرية كينتش الجميلة، حيث امضت معظم اسعد أيام سنواتها البالغة أربعة وعشرين عاماً. وعلى الرغم من الفيراري الحمراء التي توقفت هناك الآن، والجسد الأسمر الواقف عند المدخل، شعرت بومضة مطمئنة دافئة من الانجاز.

هذا كان لها. لها ولكلايف. متجر الفنون والحرف الصغيرة المتناسق بلافتته الخشبية المطلية، التي تحمل اسم، الكنوز النفيسة، قد برهن، اذا كان البرهان ضرورياً، بأنه، على الرغم من رأي جوش المنحط عنها، فقد وصلت إلى أمر ذي شأن في هذا العالم. من لا شيء وبالطبع مع مساعدة كلايف التي لا تقدر بثمن أسست عملاً صغيراً ناجحاً.

على أثر الفكرة الرئيسية الواضحة، نزلت سالي فجأة من الشاحنة، غير مبالية في سبب رغبة جوش في رؤيتها.

«لدي بعض الرسومات التي عليّ افراغها من الشاحنة.» رمقته بنظرة سريعة بينما كانت تخطو إلى خلف الشاحنة، فتحت الباب وانحنت للداخل. ثم، من أجل ازعاجه، أضافت: «سوف تستغرق بضع دقائق فقط.»

لا بد أنه توقع ان تكون جاهزة فوراً. فذلك نوع من السلوك الخاضع الذي احبه.

بالطبع، أيضاً، إنه يستمتع باصدار التعليمات.

«سأحملها لك.» في الحال أصبح خلفها تماماً. مد يده وهو يقول: «تبدو وكأنها ثقيلة الوزن.»

«ليست ثقيلة كثيراً. استطيع تدبر الأمر.» رمقته سالي بنظرة غاضبة من فوق كتفها بينما هي ترفع الرسومات الظاهرة إلى فتحة الشاحنة: «اقوم بهذا النوع من العمل دائماً.»

«إذاً، الا يساعدك صديقك على ذلك؟» لم يتزحزح ولا سنتيمتراً، ومن الواضح انه لم يكن عازماً على فعل شيء كهذا إلى أن أمسك الرسومات بيديه. وقد اعتقدت سالي ان

ذلك كان نموذجياً بالنسبة لجوش. يحب ان يفعل ما يريد.

أضاف، وهو يراقبها بدقة: «لقد ادهشتني. أعتقد منذ الآن بأنك قد دربته تدريباً جيداً.»

«تدريباً جيداً؟» ضحكت ورفعت حاجبها: «هل تعتقد بأن هذا مكان خاص بالنساء لتختبر وتدرب الرجال في حياتها؟ أنت تعرف أنه من المفروض بأنهم يافعون مسؤولون.»

ابتسم جوش مازحاً: «وبعضنا كذلك. مع ان بعض النساء يعتبرن ان اختبار وتدريب الرجال في حياتهن نوعاً من المهنة. وبالطبع، بعض الرجال الذين يسمحون لهن بالقيام بذلك هم اغبياء حقاً.»

«لكن بالطبع، لست أنت.»

«هذا ليس بحاجة لكلام.»

ابتسمت سالي. أجل، هذا فعلاً ليس بحاجة لكلام. فقد رأت بعينيها كيف كان يتصرف مع صديقاته.

لكن ما إن لاحظ ابتسامتها حتى ابتسم لها بمرح، ادارت نظرتها بعيداً عنه بسبب الشعور الغريب الذي تضارب في داخلها.

حسناً، ان ذلك الاحساس السريع التأثر المسيطر على قلبها الذي شعرت به ما ان التقت عيناهما ومرت تلك الابتسامة بينهما، ليس غريباً، بل مألوفاً تماماً، مع انه مرتبط بالماضي.

لقد قاومت ذلك الشعور ووجدت نفسها فجأة تتمنى لو أنه لم يحصرها باحكام مقابل الشاحنة.

قالت جاهدة بنبرة خفيفة، وهي لا تزال تمسك

بالرسومات. «حسناً، انا لست من صنف النساء المصلحات، على أية حال، ولحسن الحظ فكلايف ليس بحاجة للتدريب.»

«أرى ذلك. انه مثالي، اليس كذلك؟»

«آه، لا أعتقد بأن هناك شخصاً مثالياً.» نظرت اليه بتحد وواجهته قائلة: «هل تعتقد؟»

«أؤمن بأن كل شيء ممكن.» واجه تحديها بابتسامة. اختلست العينان السوداوان النظر اليها بينما هو يميل برأسه بتعجرف: «أظن علي ان أصدق بأن هناك عدداً قليلاً من الافراد المثاليين متفرقين في العالم.»

«وأعتقد بأنك تعرف مكان واحد منهم على الأقل ايضاً.» كانت نبرة سالي ساخرة ومليئة بالاستنكار. لقد عرفت لسنوات عديدة ان جوش يعتبر نفسه مثالياً.

«أعرف هذا جيداً...» انحنى متكئاً على باب الشاحنة، مسبباً الخفقان السريع لقلب سالي وكأنه يحاصرها اكثر: «أعرف ذلك، أينما كانوا منتشرين، فلا احد منهم في حياتك... أنا أشير إلى صديقك العزيز، بالطبع. فهو بلا شك ليس واحداً منهم.»

كان ذلك كثيراً! «انت لم تعرفه تماماً!»

«لقد لاحظت استياء معالمه.»

«مرة واحدة! ولدقيقتين!»

«دقيقتان كانت كافية تماماً.»

تمنت سالي ان يفسح لها الطريق عندما اوقف كلامه. فهو الآن يقف قريباً جداً، استطاعت تنشق رائحة عطره فيما ضغطت يداً دافئة عليها تقريباً. وكلما ادركت تلك الأمور اكثر كلما وجدت صعوبة في التنفس.

بدا غير آبه، باستيائها. عيناه السوداوان تهزآن بها عندما بدأ يتوسع في كلامه: «كما قلت، دقيقتان كانت كافية تماماً. فأنا قاضٍ دقيق وسريع البديهة.»

ابتسم قليلاً، ابتسامة مرحة، لكن خلف هاتين العينين السوداوين هناك ظلاً أسود. وتلك النظرة، من دون الحاجة لأي كلمة، كانت كافية لتنبه سالي عن كيفية محاكمته لها، وعن كيفية صدور ذلك الحكم، حيث عدم الانصاف فيه، قد شلها تقريباً.

انصب غضب متجدد في داخلها. فهي لم تعد تشعر بأنها سجينة. ألم تكف عن كونها سجينة جوش منذ زمن بعيد؟

دفعت الرسومات باتجاهه قائلة: «ان كنت متحمساً إلى هذا الحد للمساعدة، احملها!» ثم خطت خلفه، تتنفس الصعداء متوجهة بسرعة إلى باب المتجر.

«آه، شيرين كيف هو البيع؟ هل من زبائن؟»

ابتسمت للفتاة الشابة الجالسة خلف المكتب وشعرت ان توترها يتزايد. هي الآن في مكان خاص بها. كان جوش هو الغريب هنا. لم تعد لديه اية سلطة عليها.

ازدادت شيرين توردا. نهضت هي تجيب: «لقد بعت احدى علب المجوهرات، فقط، أنا آسفة.»

«احدى علب المجوهرات الصدفية؟ جيد بالنسبة لك.» ابتسمت سالي لشيرين، لكن عيني شيرين الزرقاوين كانتا مثبتتين على جوش.

رد جوش: «مرحباً يا شيرين.» بالطبع، الا يرد على خجل النساء دائماً؟ «إذاً، أأنت تعملين لحساب سالي هذه الأيام؟»

«فقط بعض الوقت... إلى أن اجد وظيفة ثابتة كل الوقت. انت تعرف، لقد تركت المدرسة في نهاية العام الدراسي.»

ازداد توردها، اثناء تكلمها. كان باستطاعة سالي سماع اضطراب دقات قلبها تقريباً. تنهدت سراً باستسلام، مظهرة بانزعاج بارد انها رأت هذا المشهد القصير يمثل الف مرة وكل مرة مع فتاة مختلفة. كانت هي نفسها احداهن.

نبهت نفسها، إلى أن يتعلم الفرد رؤية ما وراء القناع الجميل. ثم، وبكل سرور يصبح الفرد ذو حصانة.

«بامكانك الذهاب الآن، اذا اردت. انني على وشك الاقفال حالاً، وأشك بأنه ما زال هناك زبائن اليوم.» خاطبت سالي شيرين التي لا زالت متسعة العينين ومتوردة الوجنتين، مع انها ارتابت بأن الفتاة المسكينة لم تسمع مطلقاً أية كلمة. وهكذا، ابتسمت بمحبة، مكررة بصوت اعلى قليلاً: «بامكانك الذهاب إلى البيت الآن، يا شيرين، إذا احببت.»

«اوه؟» نظرت شيرين خلسة باتجاه سالي: «الا تريدينني ان أساعدك بهذه الرسومات؟»

قال جوش: «لا تقلقي يا شيرين. أنا سأساعدها. لا حاجة لأن تبقي.»

قالت وهي مسرعة للخارج: «سأراكما في ما بعد، إذاً.»

«أين تريدين الرسومات؟»

ما ان اغلق الباب خلف شيرين، حتى استدار باتجاه سالي، وقد رفع حاجباً واحداً. كان هناك نظرة انعزال باردة هائلة في العينين السوداوين تجعل الفرد يؤمن بأنه لا يعرف ولا يهتم كثيراً بشأن سلطته على النساء.

والمؤلم حقاً، هو حدوث ذلك لسالي باستمرار. وهذا ما يسهل الأمر له لاستغلال تلك السلطة.

قابلت حملقته بنظرة باردة وقالت: «سأحملها إلى المخزن.» ثم رفعت ذراعيها لتحمل الرسومات.

الا انه لم يسلمها لها. بل وببساطة ابتسم بمرح، تلك الابتسامة المتعجرفة التي كرهتها كثيراً. واخبرها قائلاً: «سأحملها، أنا أؤمن بإنهاء الأعمال التي أبدأها. لا أتصور أنني أترك هذه الأشياء هنا في منتصف القاعة.»

هزت سالي كتفيها لا مبالية: «افعل ما يحلو لك. المخزن هناك.»

توجهت نحو الباب وفتحته. ثم خطت جانباً كي تفسح المجال ليمر من خلاله. لم تكن تريد أن تعيد الغلطة نفسها التي ارتكبتها عند الشاحنة والانتهاء بحبسها معه في المخزن!

اضاءت النور الكهربائي، ثم قالت له: «فقط ضعها في اي مكان، كدسها مقابل الحائط بشكل فردي.»

ما ان شرع بفعل ما طلبته، حتى وقفت سالي عند العتبة تراقبه. ليس غريباً، انها وجدت نفسها تفكر، انه يؤثر في النساء بالشكل الذي يريده بهيئته السمراء، هو بصراحة اجمل رجل رأته على الاطلاق. الا ان شكله الوسيم كان فقط جزءاً صغيراً بالنسبة لقوته. لقد كانت صفة أخرى ملموسة بدرجة أقل وقد سببت تحطيماً لقلوب الاناث.

ضاقت عيناها وهما تنظران اليه وهو يكدّس الرسومات مقابل الحائط. انها تلك الوحشية الجامحة المنتشرة حوله، تنذرها بالضعف، لكنها في الوقت نفسه مثيرة تماماً.

الخطر ينبعث منه، ويتحطم في الجو من حوله، فتجذب النساء اليه كما تنجذب الفراشات للهب.

«بعض هذه جيدة نوعاً ما.»

استيقظت سالي من الاستغراق في التفكير الحالم. اختلست النظر اليه بارتباك وقالت: «عفواً، ماذا قلت؟»

«لقد قلت ان بعض هذه الرسومات جيدة نوعاً ما. هل الرسام شخص محلي؟»

«أجل، انه يعيش قريباً هنا تحت بجانب اولد ميل. لقد بعنا كمية جيدة من اعماله، وهو محبوب الى حد ما.»

«لست مندهشاً، أنا نفسي لا امانع في شراء واحدة لنفسي.» كان يسير عبر المخزن باتجاهها. توقف عند المدخل وأضاف: «وماذا عنك؟ ألا ترسمين بعض الرسومات هذه الأيام؟»

«قليلاً عندما أجد وقتاً.» شعرت بمعارضة لمناقشة هذه النقطة الرئيسية معه، الجزء الحيوي من حياتها، لأن الحقيقة كانت، انها ترسم متى استطاعت. فالرسم بالنسبة لها كان أهم من أي شيء آخر.

هزت كتفيها لا مبالية: «المتجر يأخذ معظم وقتي.»

«أجل، توقعت ذلك.» كان جوش يراقبها بدقة. بدت في عينيه نظرة فاحصة غريبة: «إذاً أخبريني، كيف تقيمين أسعارها للبيع.»

طرح عليها هذا السؤال، مشيراً إلى الرسومات التي ما لبث ان انتهى من تكديسها في المخزن.

فكرت لبرهة ثم أجابت: «هذا يعتمد على الحجم والمناظر التي بعضها مطلوب اكثر من الآخر.»

«لقد توهمت ان الصور التي تمثل مناظر طبيعية محبوبة اكثر.» خطا جوش من خلال المدخل ليقف امامها ثم فجأة كان هناك وميضاً مفترساً في عينيه: «فقط من المجموعة الصغيرة المختارة هناك، قلت ان صور المناظر الطبيعية كانت نقطة تركيزه.»

«أجل، معك حق، انها تميل لأن تكون اكثر رواجاً.»

أرادت أن تبتعد، لكنها لم تستطع. شعرت وكأن قدميها مثبتة بالأرض. وكانت تلك النظرة المفترسة في عينيه قد سمرتهما في مكانهما.

أضافت بصوت أجش قليلاً: «الجميع يحبونها.»

«أراهن انها كذلك.»

شعرت بانزعاج لقربه منها الآن، مع انه كان يقف على بعد قدمين عنها. كانت الطريقة التي ينظر اليها بها تبدو وكأنها تستنزف قوتها، جاعلة منها اسيرة عينيه.

قال لها: «هل تبيعينها محلياً ام ان لديك اتصالات إقليمية النطاق؟»

«محلية غالباً. كمعظم سلعنا.»

عندما نظرت اليه مجدداً، شعرت بقلبها يضيق بانزعاج. لربما كانت الأسئلة التي يطرحها عرضية، الا انها ولسبب ما، وبشكل متزايد، بدأت تبدو وكأنها تحقيق قاس.

أخذت نفساً عميقاً لتتجاوز ذلك الشعور، ثم توسعت في النقاش: «لدينا زبون او اثنان اشتريا من عندنا بينما هما في عطلتهما. أحياناً اتصل بأحدهما ان كان لدي شيء اعتقد بأنه سينال اعجابهما.»

«إذاً، لا يباع كل شيء محلياً؟»

«لا، ولكن معظمها.»

«معظمها... تعنين البضاعة الكاسدة؟»

«لا، لا أعني ذلك. لا شيء من متاعنا كاسد. جميع الفنانين والرسامين المتعاملين معنا لهم موهبة عالية.»

شعرت بانفجار غضبها بسبب اهانته فهي تعتبر جميع الفنانين الذين تبيع اعمالهم كعائلة!

ابتسم ساخراً بوفائها: «أجل، لكن بعضهم موهوبون اكثر من الآخرين. أعمال بعضهم - مثلاً ذلك الرسام الذي اوصلت اعماله منذ برهة إلى المخزن - يمكن ان تباع في مكان آخر باسعار اعلى من التي يمكن ان تطلبينها محلياً. أقصد، في لندن، مثلاً، بامكانك ان تطلبي ضعف المبلغ على الأرجح.»

نظرت سالي اليه، شاعرة ان التوتر الذي في داخلها قد اصبح على أشدّه. كان هذا الحوار بالتحديد تحول إلى تحقيق!

أخبرته بنفاد صبر: «أدرت متجراً للحرف الفنية في كِنْت وطلبت نوع الاسعار التي تناسب المنطقة. لا أعرف شيئاً عن الاسعار في لندن...»

«ألا تعرفين؟» فجأة، مدّ يداً واحدة باتجاهها وأمسك فكها برفق بأنامله السمراء الطويلة. بدت أنامله وكأنها تحجزها هناك. اتقدت عيناه كالحديد الحار وأضاف: «سامحيني، لأنني أجد صعوبة في تصديق ذلك.»

تجمدت للحظة بسبب لمسة الاصابع الباردة. وشعرت بقلبها يتحطم من الخفقان السريع المضطرب. وبينما هو يقرب وجهه أكثر، شلت اوصالها بسرعة. حدقت إليه، بينما هو يدمدم: «أنت كاذبة، ألست كذلك؟»

ماذا جرى له؟ هل جن أم ماذا أصابه؟ وقالت: «كاذبة ولِمَ؟»

بسبب طبيعتك الغير شريفة إذ انك لا تجدين الشرف امراً سهلاً ابداً.»

شعرت بالغضب المفاجيء في داخلها، حاملاً معه الرغبة في الدفاع عن نفسها.

صاحت قائلة: «ابتعد عني! كيف تتجرأ وتضع يدك علي؟»

ابتسم بازدراء، مبعداً يده عنها: «معك حق، لم يكن من المفروض ان أفعل ذلك. المرء لا يحب ان يعرف ابداً... عديمة شرف مثلك يمكن ان تكون مصيبة على المجتمع.»

نظرت سالي اليه مجدداً شاعرة ان وجهها قد تجمد. كلامه معها وتعبيره المليئان بالاحتقار سببا لها صدمة عميقة، مع أنها تعرف ان ذلك لم يحصل. لم تهتم لاستمراره بالاحتفاظ بمثل هذه النظرة السيئة عنها؟

أخبرت نفسها بأنها لن تهتم. عادت بأفكارها للماضي وإلى انه سيطرح امامها ذلك الحادث المؤسف الذي اوجد لديه تلك النظرة السيئة عنها كل تلك السنين الماضية. ذلك الحادث، الذي أصبح الآن، يعتبر بأنه منذ ذلك الوقت قد ولى زمان وعاد زمان آخر.

لكن من الطريقة التي كان ينظر اليها بها، بدا بعيداً عن الواقع. خطت مبتعدة عنه، علق على ذلك قائلاً بصوت أجش: «أية كاذبة أنت!»

لم تستطع تحمل ذلك. فقالت له بغضب: «لقد قلت انك اردت

التحدث معي. هذا هو السبب الوحيد انني سمحت لك به ان تطأ داخل متجري.» توقفت عند المكتب وانحنت باتجاهه: «مهما يكن ما تريد التحدث بشأنه، سأكون شاكرة لك لمجرد نطقك به.»

«اوه، لا تجزعي، سأتكلم.» كان لا يزال واقفاً عند مدخل المخزن: «لن ادعك تنتظرين وقتاً اطول.»

«أفضل ألاّ تدعني انتظر على الاطلاق. لدي امور مضطرة للقيام بها اكثر من انتظاري للاصغاء اليك.»

«أشك بذلك. وسوف يتبين لك ان الاصغاء إلي مليء بالمعلومات، مع أنها غير سارة على الأرجح.»

«وماذا يعني ذلك؟» تشبثت أصابعها بالمكتب. لقد بدأت تشعر كفأرة وقعت في مصيدة.

«كل شيء في الوقت المناسب.» ثبتها بنظرة حذرتها بأنه سيعتبر أية محاولة منها لحثه على الاسراع اضاعة للوقت. الا انها عرفت ذلك فوراً فهو يحب فعل الأشياء على طريقته، تماماً كما اعتاد أن يفعل طوال حياته دائماً.

مد يده من خلفه وأغلق باب المخزن. آنذاك ضاقت عيناه وهو ينظر اليها: «ربما من الأفضل ان تقفليه. أنا متأكد انك لا تحبين رؤية لصوص آخرين يسلبونك كل ارباحك.»

لصوص آخرون. لا، لم ينس. ذكريات اجرامية، جعلت سالي تبعد نظرها. لكنه مخطيء مع انها تصرفت كواحد منهم، لكنها لم تكن سارقة ابداً. وليس هناك سبب لتخبره بذلك الآن، فقط لأن تلك المسألة لن تحدث بعد الآن.

قالت محتفظة بهدوء صوتها، مجبرة عينيها على النظر

في عينيه مجدداً: «لا تقلق، سأقفل كل شيء قبل أن أذهب.» كانت على وشك ان تضيف، حالما تقول ما لديك، الا انها أطبقت فاها في الوقت المناسب فذلك سيجعله يأخذ وقتاً اطول ليتكلم!

خطا خارج الباب وبدأ ينظر حول المتجر، إلى الرفوف ذات المنحوتات الزجاجية والفخارية والخشبية، مختلساً النظر اليها، ثم علق قائلاً: «لديك مجموعة من الأشياء المثيرة للاعجاب هنا. ومع ذلك، ارى ان ليس كل شيء، يشحن الى لندن.»

لِمَ يواصل التكرار دائماً بشأن لندن؟ هل يحاول ارباكها؟

تجاهلت عن عمد التلميح. وأجابت بصوت حاد: «لدينا مجموعة من الأشياء الجميلة.»

«جميلة جداً. اهنئك على ذوقك.» ابتسم ابتسامة المنتصر اظهرت شعوره بالتفوق: «لكن علاوة على ذلك تظهرين ذوقاً حسناً دائماً.»

تذكرت منذ وقت طويل مضى عندما كانت لا تزال طفلة وهو يكبرها بسبع سنوات، لم يكن هو نفسه اكبر من مجرد طفل، عندها قال لها كلاماً مشابهاً لما قاله الآن، بأن لديها عينين تريان الأشياء الجميلة. لا تزال قادرة حتى الآن على تذكر شعورها بالرضى والاطراء.

اجابت بنبرة مريرة: «تعني ان هذا يتناسب مع ذوقك؟ هذا ما يقصده الأفراد عموماً عندما يقولون بأن أحداً لديه ذوق حسن.»

«أهو كذلك؟» لم يوافق ولم يعارض رأيها، بل المزعج في الأمر انه اعتبر ان ذلك لا ينطبق عليه. فكما يعرف

كلاهما، ان طبيعة الأشياء التي يقوم بها او يقولها ليست بالضرورة باستطاعة أحد اتهامه بأنه مثل الجميع.

استمر بتأمله للمتجر الصغير ومحتوياته بتأثر واضح: «لا بد أنك قد عملت بجهد كبير لبناء هذا المتجر. كان قد استمر خالياً لسنوات عندما اجرتك إياه عمتي ميمي. والآن انظري إليه، لقد تغير إلى حد بعيد.»

«أجل، لقد عملنا بجهد.» دام ثمانية عشر شهراً من الكد المتواصل! الا أن كل ذرة من الجهد اصبح لها قيمة مادية. فهي الآن لديها الوسائل لدعم نفسها، وفنها.

«أجل، من المؤكد أنك عملت بجهد... أنت و... ما اسمه؟»

أثناء تكلمه، حمل جوش فخارة صينية ناعمة موضوعة على وحدة العرض مقابل الشباك. وزنها بيده ما أن اجابت سالي: «اسمه كلايف.»

«آه، نعم، بالطبع... كلايف.» ابتسم بمرح. لقد وجد أن اهانتها امراً مسلياً بتظاهره نسيان اسم شريكها وصديقها. اختلس النظر إلى الفخارة الناعمة، ثم سألها مجدداً: «إذاً، اين هو... كلايف؟ لِمَ ليس هنا؟»

«انه مشغول... في رؤية بعض اصحاب الحرف الذين نتعامل معهم. لِمَ؟ هل من الضروري ان تراه؟»

هز رأسه وقال: «لا، ليس ضرورياً. على الأرجح كنت اعتقد بأنه ربما رغب في ان يكون هنا. بما انه شريكك في العمل، أنا أكيد بأنه سيكون مسروراً بما لدي لأخبرك اياه...»

عندما تكلم، قذف الفخارة بمرح في الهواء.

شعرت بسهم من القلق المضاعف. القلق من انذار الشؤم الذي في صوته، والقلق من امساكه للفخارة. فهي قطعة جميلة ومباعة.

أجابته: «وماذا لديك لتخبرني به؟»

تجرأت فجأة على عدم النظر الى عينيه.

مرة ثانية امسك بالفخارة وحملها بخفة، من دون شفقة، وقال لها: «اخبار سيئة، أنا آسف.»

«أخبار سيئة؟ ماذا تعني؟» برغم الخوف الذي اهتز في داخلها، حولت سالي بصرها مجدداً ليتشابك مع بصره. «عم تتحدث؟ اي نوع من الاخبار السيئة؟»

«آسف لقولي، الأسوأ.» أمسك بالفخارة مجدداً. اتبعت سالي حركاته فيما هو يحملها برشاقة بيده: «كل هذا...» اشار حوله بيده الأخرى: «كل هذا، واحسرتاه، على وشك الانتهاء.»

«الانتهاء؟» شعرت ببرودة بدأت تسري من اخمص قدميها وببطء انتقلت تدريجياً إلى فروة رأسها. لم تعرف عما يتكلم، الا انها ادركت بأنه لم يكن يمزح.

«أجل، النهاية.» كانت عيناه تنظران اليها، ببرودة وعدم شفقة: «انه من واجبي الغير سار أن اعلمك انه مفروض عليك تصفية اعمالك هنا مع نهاية الشهر.»

فغرت سالي فاهها: «عم تتحدث؟»

«أعتقد بأنه واضح بما يكفي. أعلمك بأن عليك ان ترحلي.»

«لكنك لا تستطيع فعل ذلك. هذا يحطم اعمالي. ليس لديك الحق. لا تستطيع فعل ذلك!»

«آه، نعم، استطيع.» حملقت عيناه بعينيها وهو يقذف الفخارة بخفة إلى الهواء مرة أخرى. لكنه هذه المرة فقط لم يمسك بها وتركها تقع على الأرض وتتحطم، تناثرت إرباً محطمة حول اقدامهما.

التقت عيناه بعينيها وهي الشاحبة الوجه، ثم وبابتسامة صغيرة متلذذاً بعذابها ترك نظره يتجه نزولاً إلى الحطام الموجود على الأرض.

علق مشيراً إلى الحطام: «استطيع فعل ذلك، وبتلك السهولة.»

الفصل الثاني

ازداد قلب سالي قسوة في داخلها. حدقت مذهولة إلى الأرض على الفخارة المكسورة. أخبرته بصوت خافت: «هذه الفخارة مباعة.»

سحب جوش محفظته فوراً، أخرج ورقة الخمسين دولاراً ووضعها بجانبها على المنضدة ثم قال لها: «أتوقع أن يغطي هذا ثمنها، اعتقد أن هذا أكثر مما يمكن أن تجني ثمنها حتى في لندن.»

عاد مجدداً يذكر أمر لندن! الا انها اعتبرت ذلك مجرد غموض. فقد كانت لا تزال شبه مذهولة بما اخبرها إياه منذ برهة.

استردت قدرتها على النطق ثم سألته: «ماذا تعني، عندما قلت بأن عليّ أن أصفّي أعمالي هنا وأرحل مع نهاية الشهر؟»

«تماماً، كذلك اعتقد أن ذلك واضح بما يكفي. هذا المكان سيكون بعد فترة قصيرة متاحاً للتأجير.»

«لكن لا يمكنك أن تعني ذلك!» احست بأن دمها يغلي باضطراب بينما امسكت بطرف المكتب، من المؤكد لو انه اطلق سراحها فستهوي كالركام إلى الأرض: «لدي عقد إيجار لهذا المكان مستكمل جميع الشروط من الناحية القانونية...»

توقفت خطواتها، وشع ارتباكها بوميض من المعرفة المفاجئة.

www.elromancia.com

ابتلعت سالي ريقها وسألته: «هل ما تحاول قوله لي أن عقد إيجار المحل غير قابل للتجديد؟»

نظرت العينان السوداوان مجدداً إليها: «هذا بالضبط ما اخبرك به. ان اتفاقية عقد الإيجار الأخيرة تنتهي هذا الشهر، وعلي أن انصحك بأنها ولسوء الحظ غير قابلة للتجديد.»

«لكن هذا سخيف! هذا لا يجوز! عمتك ميمي أخبرتني بأن عقد الإيجار قابل للتجديد فوراً. لقد تحدثت معها منذ أقل من اسبوعين. كنا على وشك توقيع الأوراق الأسبوع المقبل.»

«هناك تغييراً في الخطط.» دفع جوش قطع الفخار المحطمة جانباً، بمقدمة حذاءه، وأضاف: «لن يكون هناك أي توقيع للأوراق، لا الأسبوع القادم ولا ابداً. عقد ايجارك للمتجر غير قابل للتجديد.»

«لكن عمتك ميمي قالت..» لم تستطع سالي تصديق ما قاله لها. لا يمكن أن يكون صحيحاً. هل هي عرضة لكابوس؟ «لقد قالت انه قابل للتجديد.. ولن يكون هناك مشكلة.»

ابتسم ابتسامة شرسة: «حسناً، لقد تبين الآن أن هناك مشكلة. أنت بحاجة للقيام بترتيبات بديلة.»

«لكن كيف استطيع فعل ذلك؟ في مثل هذا الانذار القصير الأجل؟» حدقت بقطع الفخار المحطمة على الأرض. عرفت فجأة كيف شعر ذلك الوغد تماماً: «ليس باستطاعتي مهما حدث إيجاد محل جديد في مثل هذه المدة القصيرة.»

ابتسم بارتياح بغيض: «إذاً عليك أن توقفي اعمالك. هذا يبدو خيارك الوحيد.»

شعرت برعشة تجتاحها عندما نظرت إلى وجهه. لقد بدا أنها كانت مخطئة بشأن جوش كل هذه السنين. فهو ليس لديه فكرة سيئة عنها فقط، بل هناك ما هو اعمق انه حتماً يكرهها.

رفعت ناظريها باتجاهه، ضربات قلبها الخافقة أصبحت مسموعة في اذنيها فجأة كناقوس الخطر: «هذا ما قمت به أنت، أليس كذلك؟ لقد أقنعت عمتك. أنت هو الشخص الوحيد الذي كلّمها بخصوص ذلك!»

لم ينكر ذلك. بدا بوضوح أنه غير نادم: «لحسن الحظ، عمتي دائماً تهتم لنصيحتي.»

«إذاً عليّ أن اكلمها واقنعها ألاّ تفعل ذلك.» أثناء تحديها له، شعرت بإحساس مفاجيء من التفاؤل في داخلها. هي والمرأة المسنة كانتا دائماً على علاقة جيدة. فبرغم كل شيء، كان لديها أمل، بأن هذه الكارثة يمكن أن تنقلب.

لكن، فوراً، واصل اخماده لأملها: «أخشى ألاّ يكون ذلك ممكناً. فعمتي ميمي مسافرة. ذهبت لزيارة شقيقتها في اوستراليا.»

«لا اصدقك! متى ذهبت إلى اوستراليا؟»

نظر إلى ساعته: «هذا الصباح، بعد الفطور مباشرة. يفترض أن تكون في مكان ما فوق آسيا الآن.»

حدقت سالي إليه بصمت. لم يكن يمزح. علّقت قائلة، وبهمس: «أنت خططت لذلك، أيضاً، ألم تفعل؟ أنت خططت لأن تكون مسافرة، كي لا استطيع التحدث معها بصراحة.»

لم ينكر ذلك أيضاً. نظر إليها ببساطة، دون أن ترمش له عين: «عمتي ميمي لم تعد شابة. وقد رجوتها أن تتجنب أي

شيء بغيض. وإضافة إلى ذلك، لقد تحدثت بشأن زيارة أختها لسنوات، ويبدو أن اللحظة المناسبة قد حانت.»

شعرت سالي بالارهاق وهي تقف مقابل المكتب. هذا كابوس فعلاً. لكنه لسوء الحظ من النوع الذي يحدث في اليقظة.

شعرت فجأة بأنها عاجزة. رفعت عينيها وسألته: «لِمَ؟»

«الآن قد وصلنا إلى المقطع المشوق.» بدا السؤال وكأنه اسعده. توقف جوش وترك عينيه لتجول عليها ببطء: «هذا هو الأمر الذي كنت قادماً لأخبرك به.»

كان باستطاعتها رؤية ذلك في عينيه، اللتين شعتا ببريق عديم الشفقة. أغمضت عينيها قليلاً على الألم الذي اصابهما وقاومت احساساً مفاجئاً من الغثيان ثم قالت له بصوت خافت: «إذاً، اخبرني.»

لم يجبها فوراً بل على العكس، أخذ الوقت الكافي، ثم تابع مراقبتها بابتسامة خفيفة حول شفتيه، وكأنها كانت شيئاً غير سار.

رفع حاجباً داكناً واحداً وقال لها: «لقد اكتشفت امرك.»

اعادت سالي النظر إليه بارتباك وسألته: «اكتشفت امري؟»

هز جوش رأسه: «هذا صحيح، أنكري ذلك. هذا بالفعل ليس اكثر مما توقعت أنك تفعلينه.»

اختلست سالي النظر إليه: «أنكر ماذا؟ حتى أنني لا اعرف عما تتكلم!»

«اعتقد بأنك تعرفين.»

«إذاً أنت مخطىء، أنا لا أعرف! اخبرني ماذا فعلت!»

توقف جوش مرة ثانية. واستدار مبتعداً بعدم صبر: «اعتقد بأنني اكتفيت بذلك بالنسبة لهذه اللحظة. سأعود مرة ثانية واتكلم معكما، انت وشريكك عندما يعود. أحب أن يسمع كلايف ما سمعته، من المصدر الاصلي مباشرة بقية الموضوع.»

«لكنه لن يأتي قبل الغد وأنا أريد أن أعرف الآن!» ما أن بدأ يتوجه ناحية الباب حتى ترنحت خلفه. وقالت: «لا يمكنك الذهاب دون أن تخبرني بما يجري!»

«أنا آسف.» كانت يده ممسكة بقبضة الباب: «لقد اخبرتك بكل ما أنت بحاجة لمعرفته إلى أن آتي مجدداً غداً، في الوقت المحدد، لِمَ لا تمضين وقتاً سعيداً؟» رمقها بنظرة حادة ثم تابع: «على سبيل المثال بإمكانك البدء بحزم اغراضك.»

بعدها، رحل تاركاً سالي غاضبة واهنة عند المدخل، استقل سيارته الحمراء وانطلق اسفل الطريق مصدراً هديراً قوياً.

بعد ذهاب جوش وكأنه شخص آلي، اقفلت المتجر، ثم توجهت سيراً على الأقدام باتجاه دوفيكوت فلاتس حيث تعيش.

استمرت بتفكيرها، مراراً، هذا لن يحدث يمكن أن استيقظ في أية لحظة واكتشف انه حلماً مزعجاً.

لكنها تعرف تماماً أن ذلك لم يكن حلماً. فجوش يهدف بالفعل إلى ايقاف أعمالها.

اعدت إبريقاً من الشاي في شقتها الصغيرة في الطابق الأول وجلست إلى طاولة المطبخ، شعرت بالتخدير في

رأسها حتى أصابع قدميها. ربما ينبغي عليّ أن اتصل بكلايف. دارت هذه الفكرة في بالها. ربما يجب عليّ أن أخبره بأن يأتي إلى البيت مباشرة.

بما أن كلايف شريكها في العمل فهو برغم كل شيء الأفضل لمعرفة ما الذي يجري. وإضافة إلى ذلك، فقد قال جوش بأنه يريد حضور كلايف عند افصاحه عن سبب ارتكابه ذلك بحقهما. حالما يعود كلايف سيعرفان.

حدقت في الهاتف لبرهة، ولكنها لم تمسك السماعة وترفعها. إن ذلك يخصني أنا وجوش. استمر هذا الهاجس يجول في خاطرها. فاتصالها بكلايف هاتفياً من أجل عودته الملحة سيسبب له الارباك ولن يجدي أي نفع.

بعد احتساءها كوبين من الشاي شعرت بارتياح أكبر نسبياً وبدأت تتكيف مع الفكرة. بدأ يزداد تأكدها أكثر فأكثر بأن دوافع جوش كانت شخصية، وهي تتعلق بعض الشيء بكرهه العميق لها الذي لم تتوقعه قط من قبل، لدرجة أنها كلما تذكرته تسري قشعريرة في جسدها.

وبما أنه أمر شخصي فيجب أن يعالج معالجة شخصية. وجهاً لوجه، بينهما هما الاثنين، فلا داعي لحضور كلايف.

نهضت وخطت على الأرض، لو أنها تستطيع مواجهته الآن. لو أنها تستطيع جعل هذا الأمر مكشوفاً، وأن تعرف ما الذي يجري بالضبط وتكون قادرة على التعامل معه. لقد عرفت أنها لن تجد دقيقة للراحة قبل أن تعرف.

إذاً ماذا تنتظر؟ ظهر هذا السؤال في بالها. لِمَ لا تذهب إليه الآن تواً وتحدثه بصراحة؟

سيغضب بالطبع، لتهورها وإقحام نفسها في بيته بدون دعوة. لكن لأي سبب تهتم؟ هزت كتفيها. فليغضب. لديها الحق في أن تعرف.

بعد نصف ساعة خرجت من منزلها بعدما استحمت وبدلت ملابسها، كانت تقود تحت ضوء الشفق الصيفي إلى بيت العمة ميمي الكبير، حيث ولدت اعظم ذكريات طفولتها، لتواجه غضب جوش للأسوأ والأحسن.

الأسوأ الذي يمكن أن يحدث هو انه سيرميها خارجاً، الا أن سالي رفضت أن تمعن النظر في هذه الفكرة. وعوضاً عن ذلك، ركزت على الأفضل. وكما توهمت، فالاحتمال الضعيف، هو لو انه بنى قراره على كرهه الغير منطقي لها، فهي بإمكانها، جعله يبدل رأيه، بأية حال.

تمسكت بإحكام بذلك الأمل، دخلت من خلال البوابة المفتوحة بمواجهة الطريق المزروع بالاشجار والممتد إلى مقدمة البيت الكبير.

فتحت الباب مدبرة منزل العمة ميمي. اخبرتها سالي قائلة: «لقد حضرت لرؤية جوش. السيد كينغسلي، أنا سالي وودستوك، هل هو موجود؟»

«أجل. انه هنا.»

شعرت بخفقات قلبها وقبل أن تجيب مدبرة المنزل، ظهر جوش في نهاية الرواق ويداه في جيبي سرواله. قالت المدبرة: «هل لديك موعد معه.»

«لا.»

كانت سالي لا تزال واقفة أمام الباب، كارهة الطريقة التي خفق بها قلبها عند رؤيته. ومندهشة أيضاً، فما دامت

قد قامت بالمخاطرة، فينبغي عليها أن تطأ فوق عتبة الباب بجرأة.

لكنها احجمت عن ذلك. فبإمكانه طردها من الرواق بنفس السهولة التي يمكنه طردها فيها من المدخل لو رغب، الفرق الوحيد أن الأول اكثر ارباكاً.

قالت بصوت معتدل: «كنت آمل أن لا تكون مشغولاً ليكون بمقدورك تمضية ساعة من وقتك معي.»

«هذه أنت، الآن؟ هذا يدعو للتفاؤل. لم أرغب بإفساد امسيتي بتمضيتها معك؟»

هذا مؤلم. أكثر مما تتحمل، اخذت سالي نفساً هادئاً وقالت: «لن آخذ كل امسيتك، فقط حوالي ساعة، كما قلت.»

ابتسمت ابتسامة رضى وتابعت: «في الحقيقة، ربما أقل.»

«لم تقنعيني بعد.» بقي واقفاً قبالتها، على منتصف السجادة النفيسة: «استطيع التفكير بطرق سارة لتمضية هذه الساعة.»

وبينما هو واقف هناك يتأملها، قست العينان السوداوان وثارت، كانت اكيدة انه على وشك ارسالها لحزم اغراضها، لكن آنذاك حدث شيء غير متوقع.

«جوش، أنا جاهزة للذهاب الآن.» ظهرت فتاة نحيلة الجسد، سوداء الشعر من خلال المدخل عند آخر الرواق. عرفتها سالي مباشرة. لقد كانت كارين ستوكس، الخزافة المحلية والتي عرفتها سالي طوال حياتها.

لا يمكن لأي كان أن يظنها كارين من تصرفها.

دنت من جوش، مررت ذراعها من خلال ذراعه ودخلت إلى القاعة من دون حتى أن تختلس النظر ناحيتها. وعندما

انذهلت سالي وقالت بتردد: «مرحباً، كارين.» نظرت إليها وكأنها ليست موجودة هناك.

ثم اندفعت هي وجوش بخفة من خلفها واتجها إلى الطريق حيث تتوقف سيارة صغيرة زرقاء، من المؤكد أنها سيارة كارين.

وقفت تراقب بجمود تبادل التحية قبل أن تصعد كارين إلى سيارتها وتقود ببطء اسفل الطريق، فجأة بدأ قلب سالي يخفق باضطراب في داخلها، كانت منزعجة داخلياً وكأن قلبها قد عصر بين فكي كماشة متوهجة الحرارة.

أنا لست سوى حمقاء بسبب هذا الصد، قالت ذلك لنفسها بقسوة. برغم كل ذلك، لقد بعت بعض إعمالها مؤخراً! لما ابدي بغضاً لما يجري بينها وبين جوش!

ومع ذلك، غضت نظرها عندما لوّح جوش لكارين. حتى اختفت عن ناظريها! وهي ما زالت تُهدىء من تسارع خفقات قلبها عندما اتجه جوش مجدداً باتجاهها، مسرعاً بخطوات قاسية ليعطيها لمحة تنم عن عدم الصداقة على الاطلاق.

سألها: «أمازلت هنا؟»

«هذا واضح.» قابلت سالي نظرته بجمود، بعدئذٍ ضغطت على نفسها لتتذكر السبب الذي أتت من أجله، لطفت من تعابير وجهها قائلة: «كل ما أطلبه هو ساعة.»

لم يجبها، بل مرّ من خلفها إلى الرواق... وقد بقيت مدبرة المنزل تحوم حول المكان طوال الوقت!... كانت على وشك اغلاق الباب خلفه عندما استدار فجأة.

«ماذا تنتظرين؟ من الأفضل أن تدخلي.»

وبتنهيدة اطمئنان اسرعت خلف مدبرة المنزل. لا زال

هناك مسافة طويلة قبل وصولها إلى هدفها، لكن على الأقل فهي الآن تعبر الباب!

وجّهها جوش... أو على الأقل تبعته، مسرعة لتدركه... عبر الرواق ومن خلال المدخل المفتوح للغرفة التي ظهرت منها كارين منذ لحظات، للحظة خلت نسيت سالي أي شيء آخر. وجودها داخل هذا المنزل مرة ثانية، الذي عرفته جيداً يوماً، أعاد إليها فيضاً غزيراً من الذكريات. أطبقت على حنجرتها.

«خذي راحتك.»

أشار لها إلى أحد المقاعد. رمقها بنظرة جانبية وهو يجلس على كرسي في مواجهتها: «لكنني من الناحية الثانية نادراً ما كنت بحاجة لمناقشة مثل هذه الشكليات معك. أنت تعرفين الطريق حول هذا المكان تماماً كما أعرف أنا.»

«لقد عرفت ذات مرة، لكنه منذ وقت طويل.» جلست سالي على حافة المقعد. فقد كان ذلك منذ سبع سنوات حسبتها قد ولّت بسرعة لكنها شعرت وبطريقة مضحكة وكأنها البارحة.

«لا أظن بأنها تغيرت كثيراً.»

«قليلاً ما تغيرت.»

جالت بنظرها في انحاء الغرفة الضخمة، ذات الاثاث القديم الطراز والرسومات المعلقة على الجدران، وقد لاحظت بأنها مازالت أقل أو أكثر مما كانت عليه طوال تلك السنين الماضية عندما كانت تعرفها جيداً.

في تلك الأيام، كانت والدتها تطهو للعمة ميمي، العمة الأرملة الأكثر حباً لجوش وسالي، من وقت لآخر، كانت تحصل على امتياز مرافقتها. كان يبدو هذا البيت بالنسبة

لها وكأنه مكاناً آمناً. وهي لا زالت تشعر بجماله حتى الآن.

«لطالما كانت عمتي ميمي تقليدية قليلاً، تحب أن تبقي الأشياء كما هي دائماً.»

وصل جوش ناحية طاولة القهوة الخشبية وهو يتكلم، رفع كوب العصير النصف فارغة الموضوعة هناك، جرع بعض الشراب منها ووضعها جانباً مرة ثانية. عندها لاحظت سالي بقايا عشاء خفيف... صحون وسكاكين، فناجين قهوة... واكواب موضوعة فوق صينية على إحدى زوايا الطاولة.

لقد كان هناك زوجاً من كل شيء، لاحظت بانزعاج... إن هذا شبيهاً إلى حد انهما تشاركا بعشاء خفيف.

إذاً، لِمَ ينبغي أن أهتم؟ سألت سالي نفسها ذلك بحدة.

حضرت مدبرة المنزل وأخذت الصينية. وبعدما غادرت الغرفة، جلس مجدداً على كرسيه ونظر إليها.

«لِمَ لم تبدأي بعد؟ لقد مضى عدة دقائق من الساعة التي طلبتها. وأنا أكيد بأنك لا ترغبين في إضاعة المزيد منها.»

آه، أجل. بحثت سالي مرة ثانية بين أفكارها عن السبب الذي أتت من أجله. وتذكرت أنها نظرت إليه بمقدار مرضٍ من الكراهية.

قالت له: «أرى أنك تسجل الوقت لي.»

وبنوع من الاستجابة اختلس جوش النظر إلى ساعته: «بقي لديك أقل من خمس وخمسين دقيقة.»

اعتدلت سالي في مقعدها. فمن الأفضل أن تباشر بالموضوع. بما أنه قد بدا انه يخطط فعلاً لطردها مباشرة

بعد إنتهاء الساعة، ليس هناك أي هدف من الجلوس هنا وإضاعة الوقت في جدال غير مجدي!

نظرت في عينيه وقالت له: «أريد أن أعرف لم تريدني أن أصفي عملي في المتجر.»

مدَّ يده مرة ثانية إلى كأس المشروب وجرع جرعة أخرى: «اعتقد بأنني اخبرتك بأننا سنناقش ذلك غداً، بوجود صديقك.»

«أعرف لكنني أرغب بمناقشته الآن. لا أظن بأن من الضروري حضور كلايف.»

رفع حاجباً واحداً رافضاً بطريقة ساخرة: «هل يعرف كلايف هذا الموقف الشهم بأنك تحترمينه كونه شريكك في العمل؟»

بلى، قد كان مغزى تصرفها يفسر كذلك. عضت سالي على شفتها وعبست: «ليس لدي موقف شهم، كما ادعيت، أنا لا أخفي شيئاً عن كلايف. بل ما يبدو أن الأمر مختلف تقريباً، فمن الواضح أنني أنا المعنية وليس كلايف، لديك بعض الشكاوي ضدي.»

قال: «يمكن أن تكوني على حق، ولكن مهما تكن شكواي، كما ادعيت فهي بين شريكك وبيني في العمل، فكلايف معني بالأمر كما أنت بالضبط. لذلك اشترطت حضوره.»

بدا مطمئناً كثيراً، مسيطراً بكل ما في الكلمة من معنى، ممسكاً بكوب العصير بخفة وبيد برونزية اللون، أما هي فقد كانت جالسة على حافة المقعد، وكأنها لا زالت تلك الطفلة الخائفة والحساسة رغم كل تلك السنين الماضية.

ليس هناك أي سبب لتشعر كذلك.

«لِمَ أنت مهتم إلى هذا الحد بشأن كلايف؟» سؤالها هذا أشعرها بالارتياح فوراً لكونها أصبحت في موقف هجوم وأضافت: «ليس من عاداتك الاهتمام هكذا بالآخرين.»

«حسناً، لا تقلقي، هذا لا يهم، سوف ترين.» ابتسم ليظهر لها أن موقفها الدفاعي لم يزعجه: «بكل بساطة أفضل حضور الشريكين كي أجنب نفسي مشكلة إعادة ما قلت.»

«هذا غير ضروري، فأنا قادرة على اعلام كلايف بكل ما تقوله تماماً مهما يكن. فلا داعي لأن تعيد ما ستقوله.»

«وهل أنت قادرة على الدفاع عن كلايف؟ ألا تعتقدين بأنه يفضل أن يفعل ذلك بنفسه؟»

«أجل، أعتقد أن باستطاعتي الدفاع عن كلايف.» نظرت إليه بعدم صبر. كل ذلك غير ضروري. بالطبع فهي في ظروف أخرى أحبت حضور كلايف، لكنها تعرف هي وجوش أن هذا الشيء يخصهما. ليس هناك أي سبب لحضور كلايف.

أضافت: «لدينا شركة سرية جداً. كلانا مطلّع على رأي الآخر. نستطيع أن نجيب بالنيابة عن بعضنا دائماً.»

ابتسم جوش ابتسامة وقحة وقال: «كم هو حميم هذا، انه يشبه العلاقة الخيالية. أقدم لك تهنئتي.»

كان ذلك يشعرها بالاسترخاء قليلاً. علاقة خيالية ليست عليه تماماً ما قصده جوش هي وكلايف. لكنها كانت محظوظة لأنها حظيت به، والباقي ليس من اختصاص جوش. أومأت بالموافقة ثم قالت: «نعم، إنني محظوظة.»

نظر إليها بسرور، ثم جلس واضعاً ساقاً فوق ساق. كان ينتعل حذاء لامعاً بفارق بسيط عن لون سرواله وسألها: «أين

قابلته؟ ألم يكن ذلك خلال دراستك في جامعة الفنون في لندن؟»

«نعم.» تعجبت سالي وابعدت نظرها بسرعة وهي توبخ نفسها على ذلك. هل نسيت حقاً الأيام التي استجابت فيها لكلام جوش؟

«إذاً، لقد عرفته منذ مدة.»

«هذا يبدو كذلك.»

«خمس أو ست سنوات؟»

«اعتقد انه بامكانك أن تضيف قليلاً.»

أومأ جوش ونظر في عينيها: «أوه، أجل، بامكاني أن اضيف. ليس عندي مشكلة في جمع اثنين مع اثنين.» ابتسم ابتسامة غامضة، جعلتها تحتار لِمَ تعنيه هذه الابتسامة. ثم تابع: «لكن بالعودة إلى موضوع كلايف. ينبغي على الفرد أن يعرف أحدهم جيداً إلى حد ما، في فترة تقارب خمس أو ست سنوات.»

«اعتقد بأن الفرد يستطيع.»

ذكرته بنظرة فاحصة من عينيها بأنهما يعرفان بعضهما منذ مدة أطول، وكنتيجة لذلك فهي بالتأكيد عرفته جيداً. وما كان أكثر من ذلك أنه لا يتطابق مع الذي عرفته.

«هكذا بالضبط.» ابتسم جوش. لقد ادرك تماماً ما كانت تقول. نظر إليها وهو يشرب جرعة أخرى من العصير: «إذاً، كما كنت أقول. هل ينبغي أنك تعرفين كلايف جيداً حتى الآن؟»

«أجل، جيداً إلى حد ما.» كان بإمكانها قول ذلك، لأنهما يعرفان بعضهما معرفة شخصية منذ ست سنوات، خلال

سنوات الدراسة كانا قريبين بشكل واضح، لكن بعدها كانت هناك سنتان كاملتان فقدا الاتصال بينهما تماماً. لكن لِمَ تدخل في مثل هذه التفاصيل مع جوش؟ فهذه التفاصيل لا تخصه ولو بشكل ضئيل.

«اذاً، متى سيكون الزفاف؟»

تعجبت سالي عند سماعها هذا السؤال: «من ذكر موضوع الزفاف؟»

جرع جوش ما تبقى من العصير في كوبه ثم وضعه على الطاولة وقال: «افتراض طبيعي. عندما يكون شخصان قريبين جداً ويعملان سوياً، فإن الزواج يبدو حدثاً طبيعياً.»

هذا تماماً يقارب ما قاله كلايف، وربما يكون صحيحاً. ربما يحدث، لكن ذلك كما البقية ليس من شأن جوش.

ادارت سالي وجهها باتجاهه وقالت: «كلامك يفاجئني.»

هز جوش رأسه باستياء: «لقد حكمت جيداً على ذلك.»

قالت له: «بلا شك، فلسفتك باقية لم تتغير؟»

«هناك نساء كثيرات بأقل وقت ممكن؟» ابتسم ثم قال: «هل تقترحين رأياً أفضل؟»

كان عديم الخجل والمسؤولية. نظرت إلى وجهه، إلى العينين السوداوين اللتين اعادتا النظر إليها وهما تشعان بالمرح. ليس هناك أي فراق بما أنه يحصل على ذلك بهذه السهولة، ينبغي عليه أن يكون قادراً على التصرف بشكل أفضل.

فكرت مجدداً بكارين وتأثرها لوضعها منذ لحظة وشرعت تحرر نفسها أكثر باتهامها له: «هل تعرف كارين بشأن فلسفتك؟»

«كارين؟»

«أجل. كارين.» رفعت حاجبيها عندما حدق إليها متسائلاً: «لا تقل لي بأنك قد نسيتها للتو؟ لقد قبلتها ودعتها منذ دقيقتين.»

«آه... تلك كارين!»

«كم هو عددهن؟»

«كم واحدة اسمها كارين؟ اعتقد القليل. على أية حال فهو اسم شائع. ربما ينبغي أن تحذريها من الخطر الرهيب المحيط بها.»

كانت هناك نظرة مسلية ومزعجة في عينيه جذبت انتباه سالي لا شعورياً. كانت نظرة رأتها الف مرة، شبيهة بنظراته الباقية. فكرت بتدفق مفاجيء من الانفعال، أنا أعرفه جيداً، أنا أعرفه، لكنه لا يعرفني.

طردت هذه المشاعر من داخلها وضغطت على افكارها للعودة إلى الحاضر.

أخبرته قائلة: «أنا لا أرغب بالتدخل في حياتك الشخصية. واضافة إلى ذلك ليس هذا ما جئت لأجله.. كي اتحدث عن مغامراتك. ما أريده هو أن تخبرني لِمَ تريد تصفية اعمالي. اعتقد بأنك مدين لي بالصراحة.»

«سأكون صريحاً جداً بعد برهة وجيزة.» ابتسم قليلاً، مما جعل سالي تشعر بأنها ممتنة له كثيراً. كانت ابتسامته تجذبها أكثر من أي شيء، كان عبوسه أسهل للتعامل معه.

تابع قائلاً: «لقد اخبرتك سابقاً، بأنني سأبوح بأسبابي عندما تحضرين أنت وشريكك.»

«لكن هذا غير ضروري.»

«ومع ذلك، فهذا ما اقترحه.»

اثنى جوش يديه كحاجز أمامها. أصبح تعبير عينيه فجأة بارداً بدا وكأنه لن يغيره شيئاً عندما اعترضت سالي: «لِمَ يجب أن تطيل الصراع؟ لدي الحق في ان اعرف، بحضور أو بعدم حضور كلايف! بل أكثر من ذلك، مهمتك هي اخباري!»

«اتتجرأين بالتحدث عن الحقوق؟ هل تهتمين بشأن الحقوق؟» انفجر جوش فجأة من الغضب. بدت كل عضلة من عضلات جسده متوترة ومرتعشة. «أود أن انصحك بألا تكوني متهورة وتتحدثين معي عن الحقوق... ولا أن تحاولي اخباري بأي شيء عن مهماتي!»

اندهشت سالي لتغيره المفاجيء. لقد رأته غاضباً من قبل، ولكن ليس بهذا الشكل ابداً. كانت هي أيضاً غاضبة، ولديها كل الحق في أن تكون كذلك. كان هنا، يتوعدها بهدوء بتحطيمها، دون ان يعلمها عن السبب!

قالت له: «ولِمَ لا يجب أن أقول لك، فأنت تبدو بحاجة لمن يخبرك! فأنت لا تستطيع التعامل مع الأفراد بالطريقة التي تعاملني وتبتعد بدون أية تفاصيل!»

«أنا لم ابتعد. سوف تحصلين على التفاصيل عندما اكون مستعداً لاخبارك.»

«حسناً، هذا ليس جيداً إلى درجة كافية! اريد أن اعرف السبب الآن! اسألك الآن، ولن أرحل قبل أن أعرف!»

بدا في عينيه بريقاً من القسوة المألوفة: «أوه، لن ترحلي؟ أخشى أن تكوني مخطئة بشأن ذلك. سوف ترحلين في هذه الدقيقة فوراً.»

نهض الى جانبها ثم كرر: «الآن فوراً، ومن دواعي سروري أن أرافقك.»

حدقت إليه، بتحد: «لم أحصل حتى الآن على الساعة التي طلبتها. فقد قلت بأنك ستعطيني ساعة من وقتك.»

«في هذه الحال، عليّ أن اعتذر. لقد نسيت كم هو مرير قضاء ساعة من الوقت معك. وكأنها، وقت قصير حصلنا عليه وهو أكثر من كافٍ. والآن...» أومأ باتجاه الباب: «سأكون شاكراً لو رحلت.»

لم تتزحزح سالي، بل حدقت إليه بجرأة وقالت: «أراهن بأن العمة ميمي ليست على علم بما تهدف إليه. فهي لن تقبل ابداً بمثل هذا التصرف. ماذا قلت لها؟ أية كذبة قلتها لها جعلتها تنقلب ضدي هكذا؟»

«الحقيقة فقط. كان ذلك كافياً تماماً لا داعي لأي كذب.»

وبينما هو يتكلم، وبحركة واحدة انهضها عن المقعد. ابتلعت سالي ريقها. فهي لم تعامل بهذه القسوة طوال حياتها! بعدئذٍ، وقبل أن تعود إلى رشدها، كان يحثها على السير باتجاه الممر، ثم تقدم أمامها وفتح الباب الخارجي.

«سأخبرك هذا الشيء العظيم قبل أن ترحلي.» ابقاها للحظة حيث كانت واقفة: «بما أنك متهورة إلى هذا الحد لمعرفة اسبابي.. ها هي. أنا على وشك انتزاع المتجر منك لأنك لصة حقيرة.» هزها قليلاً: «الا أن الأيام التي سرقت فيها قد انتهت. والآن ستدفعين ثمن جرائمك غالياً.»

اطلقها بطريقة فظة: «لا أظن أنني بحاجة لقول المزيد.»

بعدئذٍ، دعاها للخروج ويده على الباب وقال: «الآن ارحلي فوراً، الا إذا كنت تريدين أن ارميك خارجاً.»

بالكاد سمعت سالي ذلك الجزء الأخير حتى كانت تسرع مباشرة إلى شاحنتها، تشعر بالغثيان، وامعاؤها مضطربة في داخلها. إلا أنها سمعت صفقة الباب الخارجي عندما اغلق خلفها بعنف.

www.elromancia.com

الفصل الثالث

اوه، يا للعار!

شعرت سالي بالموت الف مرة تلك الليلة ما إن راجعت في خيالها الدقائق الأخيرة التي واجهت جوش فيها. كان كل ذلك شبيهاً بآخر مرة منذ سنين خلت. ولكن هذه المرة كانت أكثر قساوة، أكثر صراحة، أكثر تحطيماً لنفسها. لقد لمح سابقاً عما قاله بصوت عالٍ الليلة.

لقد آمن بأنها كانت لصة ولهذا السبب احتقرها. ولهذا السبب ارادها بعيداً عن متجر عمته ميمي.

لكنها ليست سارقة. ولم تكن ابداً. مع أنها، لم تحاول ابداً اخباره الحقيقة.

لقد حدثت الكارثة كلها عندما كانت في الحادية عشرة من العمر، قبل أن تعرف جوش جيداً. ولهذا كرهت أن تسلّم بذلك الآن... حتى أنها انكرت ذلك لنفسها مراراً!

بالطبع قد حصل ذلك! كيف بإمكانها أن تفعل غير ذلك؟ من المرة الأولى التي وقعت عيناها عليه في عمر السادسة البريء بدا لها مميزاً.

«هذا ابن أخي.» تذكرت ما أخبرتها اياه العمة ميمي ذلك اليوم عندما ذهبت إلى المنزل الكبير مع والدتها. كان ذلك خلال عطلة الدراسة فقد كانت والدتها تمانع في تركها وحيدة في البيت بينما هي تعمل في الخارج. وعلى أية حال، فالعمة ميمي... أو السيدة مور، كما تدعوها

والدتها... أصرت على أن ابنة طاهيتها مرحب بها دائماً.

«جوشوا، انتبه لسالي. العبا التنس أو أي شيء آخر.»

كانت العمة ميمي تعطي التعليمات، بعد أن تضع المقدمات. ثم تدعهما. «حاولا أن تستمتعا بوقتكما.»

بعد أن تستدير مبتعدة، كانت سالي تمضي وقتاً رائعاً. لكن جوش، حسبما توقعت، كان سيكون أسعد من دون لقائها. فرغم كل شيء، الأولاد في عمر الثالثة عشرة لا يمرحون تماماً برفقة فتيات أصغر منهم بسبع سنوات.

الا أنه قيل عن جوش بأنه غير قادر على أن يكون الطف في معاملتها. «هل تأتين غالباً إلى هنا؟» سألها بأدب، وهو يدلها إلى طاولة لعبة كرة الطاولة خارج الفناء.

«فقط في أيام العطلة عندما لا ترغب أمي بتركي وحيدة، لكنني أحب المكان هنا.»

«أنا أيضاً.» على الأقل قد اتفقا على تلك النقطة! «في الحقيقة، أنا اعيش في لندن، لكن غالباً ما آتي إلى هنا عندما يسافر والداي إلى الخارج.»

علّقت سالي بفضول: «لِمَ لا يأخذانك معهما؟» فهي لا تستطيع تصور والديها يسافران ويتركانها هنا!

«لأنني لا أريد الذهاب معهما.» أجاب بسرعة وحزم، مبدداً اضطراب اللوعة الذي مس عينيه فوراً، أمسكت سالي باللمحة الأولى لشخصيته والتي كانت استقلال الشخصية، وهي كانت النقطة الرئيسية في تحديد شخصيته. أحست بالقوة التي تفيض منه وشعرت بها تجتذبها.

سألها وهما يعدّان للبدء بلعبتهما الأولى: «إذاً، اين تعيشين؟ هل تعيشين في القرية؟»

«نعيش في أحد الأكواخ اسفل مكتب البريد.» أضافت بفخر: «كوخنا هو ذو الباب الأحمر.»

ابتسم جوش قائلاً: «لدي صديق يعيش في أحد هذه الأكواخ، مع انني لا أعتقد بأن الباب الخارجي لونه أحمر.» ثم أخذ عملة معدنية من جيبه وقال لها: «هل نطرح العملة في الهواء ونرى على أي وجه تستقر؟»

لعبا زوجاً من الألعاب وقد تركها تربح في الاثنين. كيف تقدر أن تربح بطريقة أخرى؟ كانت يائسة تماماً! ومع ذلك فقد شعرت بأنه لطيف عندما افترقا بعدئذٍ. لقد قررت أن جوش هو فتى رائع فعلاً. كان ذلك بداية تحطمها.

ازدادت معاملته اللطيفة لها، فقد استمر بملاطفتها كما في البداية. في كل مرة كانا يلتقيان كان يسألها كيف حالها ويجعلها تبتسم بإخبارها نكتة أو قصة ما. كان هناك أكثر من طاولتين للألعاب غير طاولة التنس! لم يتردد عن مرافقتها الا أنها لم تكن ابداً فرداً في مجموعته. بل كانت دائماً على الخطوط الجانبية تراقب.

ليس ذلك ما مانعنه سالي. عندما يحضرون رفاق جوش... مجموعة من الصبيان المفعمين بالضجيج في عمر الثالثة عشرة... تجلس بهدوء وتقرأ كتاباً، مفضلة إحدى كتب العمة ميمي الفنية، وتستمتع من بعيد بتحركهم النشيط. والأهم أنها كانت تستمتع بمراقبة جوش بالطبع.

لكن الأمور بدأت تتغير عندما بدأت تظهر الصديقات.

أحياناً كن يأتين بمفردهن، وأحياناً أخرى تأتي مجموعة منهن، الجميع يضحكن من دون مبرر، يدرن حوله من مكان لآخر كالحمقاوات. وهو بالطبع يلاحظ

اعجابهن، وبالكاد يبدو ملاحظاً سالي. عندها بدأت تشعر كالغريبة.

جلست بهدوء في الركن، متظاهرة بأنها تلون في كتاب الرسم، وتراقب جوش طوال الوقت من تحت اهدابها وهو يسرق قلب آخر مراهقة معجبة. لأنه سرق قلوبهن جميعاً. لقد عرفت ذلك. فنظرة واحدة إلى عيونهن كافية تماماً لتجعلها تعرف.

والجزء الأهم، أن هؤلاء الفتيات يتجاهلنها. فبالنسبة لهن هي مجرد طفلة. إلا واحدة منهن، تدعى لوسندا زرقاء العينين، رحلت منذ مدة عن القرية... قد أظهرت كرهاً مطلقاً لسالي، ودائماً تنظر إليها نظرات ملؤها البغض والكراهية.

في أحد الأيام تحدثت لوسندا سائلة.

«إذاً من هي هذه الفأرة التي في الزاوية؟»

تذكرت سالي بوضوح هذه الكلمات الأولى الودية. كان جوش في ذلك الوقت خارج الغرفة فتقدمت لوسندا إلى النافذة، حيث كانت سالي جالسة تحمل كتاب الصور والأقلام.

توقفت سالي عن الرسم، واختلست النظر إلى الفتاة الأخرى ذات العينين الصينيتين الزرقاء وقالت بهدوء: «أنا لست فأرة، أنا سالي.»

قالت لوسندا بسخرية: «سالي؟ ما هذا الاسم الشائع. أنت أحدى فتيات القرية، ألست كذلك؟ أمك خادمة.»

شعرت سالي بالازدراء. من تعتقد لوسندا نفسها تكون؟ أجابت وعيناها الخضراوان تشعان: «أجل، أنا اعيش في القرية، لكن أمي ليست خادمة. انها طاهية. تقول العمة ميمي بانها أفضل طاهية في انكلترا كلها.»

انقضت لوسندا عليها، غاضبة بسبب هذه الألفة: «العمة ميمي؟ السيدة مور ليست عمتك! هل تعرف بأنك تنادينها هكذا؟»

«بالطبع تعرف. فأنا دائماً ادعوها العمة ميمي.»

«حسناً، اعتقد بأنك وقحة! فتاة مثلك لا تمت إلى هنا بصلة!» القت العينان الصينيتان الزرقاوان نظرة شاملة عليها باحتقار: «لكني اعتقد، بعيداً عن الأدب أنها تحاول أن تكون لطيفة فقط.»

سببُ ذلك لها الأذى المفاجيء العميق. فسالي كانت تثق دائماً أن العمة ميمي تحبها ولهذا السبب كانت دائماً لطيفة معها.

بقيت للحظة غير قادرة على الاجابة. وقد كانت تلك اللحظة التي ظهر فيها جوش من جديد.

استدارت لوسندا لتبتسم له: «كنت احادث سالي. كانت تريني بعض رسوماتها الجميلة.»

تقدم ووقف بجانبهما: «أجل، سالي رسامة. لطالما اخبرتها بأن لديها موهبة خاصة.» انحنى لينظر إلى آخر صورة نصف منتهية وأضاف: «اتمنى أن يكون لدي موهبة كهذه.»

تذكرت سالي جلوسها هناك، شاعرة بالتفضل عليها وعدم الراحة، تساءلت فجأة ما إذا كانت لوسندا على حق... ان العمة ميمي تعنى بها من باب الأدب فقط... ربما كان الأمر كذلك بالنسبة لجوش؟

ربما وبداعي الأدب فقط، كان يتظاهر دائماً بأنه يحبها. هذه الفكرة جعلتها تشعر بقشعريرة في نفسها.

وبينما هي جالسة هناك في يأس متزايد، سمعت لوسندا تقهقه: «لديك مواهب أخرى يا جوش.» ثم قرصت وجنته مازحة: «وأنا سأشهد بذلك متى أحببت!»

وكرد عليها، انحنى جوش وطبع قبلة سريعة على وجنة لوسندا، مما اشعر سالي بالخجل. ثم أجابها: «أنت موهوبة بحد ذاتك.»

غادرا معاً وذراعهما ملتفة حول بعضهما، تاركانها تشعر بالعذاب والذل بكل ما في الكلمة من معنى. ولأول مرة طوال تلك السنين التي كانت تحضر فيها إلى بيت العمة ميمي شعرت فجأة أن من الخطأ ذهابها إلى هناك، لأن هذا لا يجلب لها سوى الشقاء، وحضور غير مرحب به. وعاهدت نفسها بقلب مجروح على عدم العودة إلى هناك ابداً.

بالطبع، قد نكثت بوعدها، مع أنها غالباً ما اعتقدت بأنه من الأفضل ألا تفعل، وإلاّ لما كان حصل ذلك المشهد المأساوي الأخير.

كانت كتب العمة ميمي الفنية هي التي اغوتها إلى حد ما بالعودة. منذ سنين وحتى الآن كانت تسافر من خلالها، متأملة في صفحاتها الرائعة، مرتوية من الجمال الذي وجدته هناك. فهي لم ترها كلها حتى الآن. لقد احتفظت لها العمة ميمي ببعض الكتب القيمة إلى أن تكبر. كان ذلك بعد اتمامها سن الحادي عشر مباشرة عندما تلقت والدتها رسالة من العمة ميمي تقول فيها بأنها تسمح لسالي الآن برؤية الكتب الخاصة. كيف تستطيع مقاومة مثل هذا العرض في حين أنها انتظرته منذ سنين؟

وهكذا بعد ستة شهور من تلك المناوشة بينها وبين

لوسندا، وجدت سالي نفسها زائرة مرة ثانية في منزل آل مور. ومن يمكن أن يكون هناك سوى جوش ولوسندا؟

«أوه، هذا رائع! أنا حقاً أحب ذلك!»

فجأة اندفعت لوسندا بسرعة داخلة إلى قاعة الاستقبال حيث كانت سالي جالسة وخلفها جوش. اسرعت ناحية المرآة ذات الاطار الذهبي واطلقت صرخة تعجب أخرى: «أوه، جوش، انها متقنة بعناية! لا يمكنني تصور ذلك بأية حال!»

«بالطبع، يمكنك. في الحقيقة، أنا أصر.» تقدم ووقف خلف لوسندا امام المرآة. ثم مد يده ولمس عقد العقيق الأحمر حول عنقها: «يبدو خيالياً حول عنقك. أعرف بأنه كذلك.»

وهو بالفعل يبدو خيالياً، كان على سالي الموافقة، عندما اختلست النظر من فوق كتابها فجأة وقلبها يخفق. مع ذلك لم تكن رؤية العقد هي ما جعل قلبها ينبض بسرعة، بل كانت الرؤية المفاجئة والغير متوقعة لجوش.

عرفت فجأة أن ما اغراها للعودة إلى بيت العمة ميمي لم يكن فقط الكتب الفنية. لقد ارادت في صميمها وبيأس رؤية جوش مرة ثانية.

لم يلحظها في البدء، لكنه الآن لمحها فوَجه لوسندا باتجاهها ثم قال لها: «ماذا تعتقدين؟ فأنت فنانة. هل هذا علم الفن، أو ماذا؟»

بالطبع، كان يسخر منها. تألقت العينان السوداوان بالمرح. شعرت سالي فجأة وكأن عصباً قد تعرض لسلخ الجلد عنه.

قالت وهي تنظر وتملس على شعرها: «اتقصد العقد؟ أجل، إنه جميل للغاية.»

قالت ذلك بصوت خجول بعض الشيء متمنية العقد لنفسها. فالعقد كان رائعاً، وكذلك من ترتديه، رأت حاجباً أسود يرفع. فقد لاحظ جوش ردة فعلها.

اخبرتها لوسندا، مطلقة ابتسامة باتجاه جوش: «سأرتديه الليلة على العشاء، لدينا مناسبة خاصة بمناسبة ذكرى مولده الثامن عشر.»

«عيد سعيد.» مرة ثانية قالت ذلك بحسد. فكل ما كان باستطاعة سالي التفكير فيه هو أن ذلك العقد العقيقي الرائع هو هدية من جوش بالتأكيد.

هدية خاصة جداً كهذه أهي تعبير عن الحب المؤكد؟ في تلك اللحظة، حسدت سالي لوسندا من صميم قلبها بعنف ومرارة.

كان عليها اخفاء مشاعرها هذه بأن اعادت نظرها إلى الكتاب مجدداً. عرفت أن ذلك يعد غباوة، لأنه يجعل مظهرها اسوأ. لكنها الطريقة الوحيدة التي يستطيع فيها قلبها البالغ من العمر احدى عشر عاماً السيطرة على المشاعر التي انصبت في داخله.

«سنتركك لقراءة كتبك.»

سمعتهما يذهبان، كرهت السمة الباردة التي قدرت على اكتشافها في صوت جوش. بعدئذٍ أخذ جرس الهاتف يرن في غرفة عبر القاعة. سمعت جوش يقول: «ذلك لي، سأجيب أنا على المخابرة.»

لم تنظر سالي عندما سمعت صوت اقدام متجهة خارج

القاعة. لم تكن متأكدة أن لوسندا قد خرجت من الغرفة أيضاً بقيت تحدق في كتابها لدقيقة أو اثنتين. الرسومات لم تعد واضحة، اضطرب قلبها، لا تعرف لم شعرت بأن عليها الرحيل وعدم العودة ابداً إلى ذلك المنزل.

جعلها شيء ما تختلس النظر. فقد شعرت وكأن عيوناً تراقبها، وبتأكيد أكبر رأت لوسندا تقف عند المدخل وتنظر باتجاهها. ثم وبابتسامة صغيرة شاذة، وهي تلمس العقد حول عنقها، اختفت خارج القاعة.

انتظرت سالي خمس دقائق ثم جمعت كتبها ووضعتها بعناية في مكانها على رفوف الكتب. فكرت فجأة بأن عليها الهرب.

خطت باتجاه القاعة. العمة ميمي كانت خارجاً فاستبقتها لتعرف سبب رحيلها المبكر. لكن ما ان استدارت وبدأت تتوجه باتجاه الباب الأمامي، شيئاً ما على الطاولة الجانبية ذات السطح الرخامي اجتذب نظرها.

توقفت سالي في طريقها. لقد كان العقد العقيقي. خفق قلبها من مكانه عندما انحنت لتراه. من الذي وضعه هنا؟

كان تصرفاً حكيماً أكثر لو انها تابعت ذهابها وتظاهرت بأنها لم تره ابداً. لكنها لم تستطع، بل عوضاً عن ذلك، اقتربت من الطاولة الصغيرة وامسكته.

اعتقدت أنه من الأفضل أن تجد لوسندا فهي لا تستطيع ترك العقد هنا. أحدهم سيأخذه لكن ما ان حملت هذا الشيء الجميل في يدها، هذه الهدية التي اختارها جوش حتى وجدت نفسها تقع فجأة في رغبة ساحقة لرؤية كيف سيكون العقد حول عنقها.

لم تفكر بما تفعل او كيف يمكن أن تبدو، عبرت إلى المرحاض المجاور ودفعت الباب. ثم وقفت أمام المرآة ووضعت العقد حول عنقها بأنامل مرتعشة.

«إذا قد أعجبك، أليس كذلك؟»

شعرت سالي بالغثيان، وتوردت خدّاها، لاكتشافها وجود لوسندا تقف عند الباب، وتراقبها.

امتلأت العينان الصينيتان الزرقاوان بالخبث: «مضحك، لقد اعتقدت بأن شيئاً كهذا ممكن حدوثه.»

شعرت بخوف وارتباك تامين، لا شيء أكثر شؤماً، وقد أثر ذلك في نفسها. قبضت بإحكام على عنقها محاولة إخباة العقد تحت قميصها ثم قالت متمتمة مما جعل الوضع أكثر سوءاً: «أنا...أنا اعتقدت أنك في قاعة الاستقبال الأخرى.»

«حسناً، لم أكن هناك، هل كنت؟ واعتقد بأن ذلك صحيح الغاية. يبدو وكأنني قد أمسكت بك متلبسة بجريمة.»

فغرت سالي فمها ثم تفوهت: «متلبسة بجريمة؟»

ثم ظهر جوش وسأل: «ما الذي يجري هنا؟» وقف خلف لوسندا ووضع احدى يديه على كتفها.

«إنه لها!» كان هناك دموعاً من الإهانة في صوت لوسندا وهي تومىء باصبع الاتهام إلى سالي: «لقد اخذت العقد. انظر! انها تحاول اخفاءه! انها تحاول اخفاءه تحت قميصها!»

عم الصمت، كما قبل لحظة من تنفيذ حكم الاعدام، كان جوش واقفاً هناك وقد ضاقت عيناه السوداوان وهو يراقبها للحظة ثم قال بصوت هادىء جعل الرعشة تسري

في جسمها: «هل هذا صحيح، يا سالي؟ هل حصل أن أخذت العقد؟»

لم تقو على النطق هزت رأسها بصمت. لم يكن الأمر كما بدا فقد أرادت أن تقول ذلك، لكن ذلك الذي بدا في عيني جوش اخرسها.

صرخت لوسندا فجأة: «كاذبة! لقد اخذته!» ووثبت باتجاه سالي، منتزعة ياقة قميصها لتظهر للعالم أجمع أن يروا العقد العقيقي.

لن تنسى سالي ابداً ردة فعل جوش الذي قست عضلات وجهه حول فكيه واستكانت نظرة في عينه تبعث باشباع الكوابيس لسنين.

قال لها: «انزعيه.» ثم مد يده: «وضعيه في يدي فوراً.»

«لقد تركته على الطاولة في القاعة. اعتقد حقاً بأن الذنب ذنبي.» تألقت العينان الزرقاوان بحقد على سالي: «لكنني لم اعتقد بأن هناك لصوصاً في المنزل.»

«لا أحد منا يعرف.» اتى صوت جوش كالصوّان عندما نزعت سالي العقد ووضعته في يده. ثم انتقدها بنظرة: «كيف تجرأت على فعل ذلك؟ بعد كل ما فعلته عمتي ميمي من أجلك، كيف تجرأت على سرقة عقدها؟»

«لم أكن أعرف بأنه يخص العمة ميمي.» بالطبع كان من الخطأ قول ذلك، لكنها لم تكن تفكر على نحو مستقيم.

عندما اوضحت لوسندا بالكلام قائلة: «لقد أقرضتني إياه لأرتديه هذا المساء.» فجأة وبطريقة غير منطقية كانت الفكرة الرئيسية في رأس سالي رغم كل شيء أن العقد لم

يكن هدية الحب كما توهمت. في تلك اللحظة لم يكن ذلك مهماً، سوى بعض الشيء.

وبرغم اضطراب افكارها فقد كانت مدركة لما يقوله جوش: «لن أخبر العمة ميمي. فهذا سيسبب لها كثيراً من الأذى. لكنني أمنعك أن تطأي هذا المنزل مجدداً وللأبد. هل تفهمين ذلك؟ من الآن وصاعداً ستبقين بعيداً.»

«نعم، أفهم، لكن...»

«لكن لا شيء.» قطع جوش كلامها قبل أن تكمل، فنظرة عينيه قد سببت رعشة لأعماقها شعرت بها فور انسحابها عندما اضاف بصوت قاسي: «ان سمعت بأنك قد وطأت هذا المنزل مرة ثانية، فسوف تندمين، اعدك بذلك.»

«لا أريد أن اطأ هذا المنزل مرة ثانية، لست مضطراً لتهديدي!» لم تصدق انه يكلمها بهذه الطريقة. لم تفعل شيئاً تستحق عليه ذلك! لم تسرق العقد! فكيف يمكن أن يصدق ذلك؟

الا أن اعتراضها بقي غير مباح به، مقفل عليه في داخلها. وكأنه قد حطم ارادتها في اعطائهما أي تفسير.

وقف جانباً: «بامكانك الذهاب الآن. ولا تنسي ما اخبرتك به، لا تعودي أبداً.»

اسرعت سالي ماضية، وجهها شاحب، قلبها ممزق واردفت قائلة: «لا تقلق، لن اعود!» بعدها فرت من المنزل باكية.

مضت ست سنوات قبل أن تطأ ذلك المنزل مجدداً، بعد ست سنوات من اليأس والبكاء، نجحت أخيراً في طرد جوش من قلبها وتحويل اعجابها القديم به إلى كره. كانت في السابعة

عشرة من عمرها عندما ذهبت إلى بيت العمة ميمي في زيارة غير متوقعة بسبب بطاقة العيد وذلك بطلب من والدتها التي كانت طريحة الفراش بسبب الانفلونزا.

كانت العمة ميمي في الحديقة وفور رؤيتها لسالي أصرت على دخولها وتناول العصير.

«لن أقبل أي جواب بالرفض.» قالت ذلك لسالي الرافضة، موجهة إياها عبر القاعة إلى قاعة الاستقبال حيث واستجابة لرعب سالي الصامت كان جوش يجلس هناك.

غالباً ما ترتعش عند رؤيته. السبب الوحيد لعدم ارتعاشها هذه المرة لأن اقدامها قد ثبتت بالأرض فجأة. فقد رأته مرة بسرعة منذ تلك الكارثة المفاجئة بشأن العقد، لكن هذه هي المرة الأولى منذ ست سنوات التي تنظر فيها مباشرة إلى وجهه. ومع أن ذلك لم يكن ممكناً إلا أنه كان أكثر وسامة من ذي قبل.

كان يرتدي بنطالاً عادياً وكنزة صوفية زرقاء، وكان شعره قد نما قليلاً مما جعله يبدو أقل وحشية من العادة، وبشرته قد صبغت أكثر بحيث كانت تشع منه الحيوية، ومعالم وجهه قد فقدت نعومة المراهقة الغير ناضجة. لقد اصبحت محددة بحزم أكثر الآن، مما اعطاه مظهراً يناسبه. إلا أن عينيه لم تتغيرا. فقد كانتا دائماً عينين جريئتين، خطيرتين وداكنتين وجذابتين.

أيضاً لم يفقد أياً من لباقته الاجتماعية القديمة. تقدم ليمسك بالوضع براحة افضل، يتصرف وكأنه سعيد لرؤيتها. أما العمة ميمي فلم تشك بشيء.

«كم أصبحت ناضجة.» جالت العينان السوداوان عليها بطريقة لم تقم بها من قبل وتابع: «بالكاد عرفتك.»

«أوه، انها فتاة شابة. وسوف تسافر إلى لندن حالاً.» ابتسمت العمة ميمي بدفء وهي تناولها كوب العصير: «السنة القادمة ستدخل إلى مدرسة الفنون.»

«هذا لا يفاجئني الآن. لطالما قلت بأن لديها موهبة.» القى جوش نظرة مُحبّة على سالي ثم قال لها: «أنا مسرور جداً لسماع ذلك، من المخجل إضاعة مثل هذه الموهبة.»

حدقت سالي إلى العصير وتذكرت ذلك المشهد المأساوي في غرفة الحمام، والطريقة الحقيرة التي جعلها تشعر بها وكل الأشياء القاسية التي قالها.

كان لا يزال يعتقد خلف تلك الابتسامة بأنها سارقة، جعلتها هذه الفكرة ترتجف، الا أنها جعلتها تغضب أيضاً. كيف يمكنه أن يصدق مثل هذا الأمر الحقير؟

ابتسمت العمة ميمي ابتسامة ودية وقالت: «يذهب جوشوا إلى لندن بعض الوقت كما تعرفين. هكذا هو، عندما لا يسافر حول العالم.»

سمعت سالي عن نجاحات جوش، عن اعماله المتنوعة المزدهرة فهو لا يزال في الخامسة والعشرين وقد كان كزعيم قوي تقريباً.

قالت مسيطرة على غضبها، نافية عارها، وهي تنظر إليه: «يبدو أنك اصبحت شخصاً مهماً جداً هذه الأيام، وذلك أنني اتعجب بأن لديك الوقت لزيارة قريتنا الصغيرة.»

«اخصص بعض الوقت لزيارة القرية أو بالأحرى لزيارة عمتي ميمي. هذا اقل ما يمكنني فعله... فهي عمة طيبة معي دائماً.»

انه توبيخ لطيف وأيضاً تذكير بأنه لم ينس قصة العقد...

وانه ما زال يحتقرها لخيانتها العمة ميمي، التي كانت برغم كل شيء طيبة معها أيضاً.

اختلست سالي النظر أسفل حجرها، تمسح بأصابعها على تنورتها، جاعلة نفسها تبدو أكثر إثماً. فهي لا تستطيع التقاء نظرته، مدركة ما يؤمن به، مع أن ذلك بعيد ملايين الأميال عن الحقيقة، فهي لم تخن العمة ميمي ابداً. ومجرد الفكرة مخجلة جداً.

«ربما كان بإمكانكما رؤية بعضكما عندما تذهب سالي إلى لندن.» ليس لدى العمة ميمي أية فكرة عما جرى استدارت باتجاهها وتابعت: «أنا متأكدة بأن جوشوا سوف يساعدك إن احتجت للمساعدة بأي شيء. وأمر جيد بالنسبة لك أن تعرفي أن لك أخاً كبيراً موجوداً.»

عند ذلك، نظرا إلى بعضهما تلقائياً وضحكا، مرت ابتسامة مميزة بينهما. جوش، أخ كبير؟ لم يكن كذلك ابداً بالنسبة لها! لكن، مع انهما يعتقدان الأمر نفسه معاً، الا أنه عكس ذلك لاسباب مختلفة.

بالنسبة لسالي، حتى عندما كانت صغيرة لم تفكر بجوش ابداً على أنه أخ اكبر. فقد كان مميزاً جداً، جذاباً جداً للوقوع في مثل هذه المقولة. والآن هذه الفكرة اصبحت غريبة جداً لأنها ببساطة قد كرهته.

أما بالنسبة لجوش، فمن الجائز أنه لم يفكر أن بينهما أي انواع العلاقة على الاطلاق! شكّت سالي بذلك لأنه معظم الوقت لم يكن قادراً على رؤيتها!

ولا حاجة للكلام، فسالي لم تر جوش في لندن. طوال الثلاث سنوات التي قضتها في المدرسة الفنية، لم يحدث أن

التقيا ولو صدفة لمرة واحدة. كانت قد وقعت عيناها عليه مرتين فقط إلى أن فاجأها عند صندوق البريد.

إحدى هاتين المرتين كان مسرعاً حتى أنه لم يرها. كانت تقود قرب البيت ورأته يسير على الطريق. أما المرة الأخرى فقد كانت منذ ثمانية عشر شهراً ولم تكن سارة.

فقد كانت هي وكلايف بمفردهما. كانا خارجين من مقهى محلي ويمشيان مباشرة باتجاه جوش. تذكرت كيف أنه نظر إلى كلايف وكأنه نفاية، ثم استدار ليرمقها بتلك النظرة الداكنة الحادة.

«سمعت بأنكما استأجرتما المتجر.» كان رفضه ملموساً. نظر إليها من أعلى إلى أسفل ثم قال لها بصوت ينذر بالسوء. «سنرى.» بعدئذٍ تركهما مذهولين واستدار مبتعداً.

كان ذلك تاريخ سالي وجوش المحزن. الآن فقط بدأ يتجه نحو الأسوأ. الآن، فجأة، أصبحت الأمور اكثر علانية ووحشية. الآن فجأة، بدأ يقود حياتها للنهاية.

عادت سالي إلى المنزل، بعد خروجها الشائن منه. استلقت على الكنبة وحدقت إلى السقف، منذهلة ما الذي حث الأمور نحو الطريق الخاطىء. غضبه منها قد كمن ساكناً لسنوات. فما الذي جعله يقدح زند بندقيته ليبدأ في القتال الآن؟

لا بد وأنه قد جرى شيء ما. فليس من المعقول أنه احب فقط إثارة الموضوع بخصوص بذاءة كهذه، بناء على اعتقاد احدهم أن جريمة حصلت منذ سنين؟ لا يبدو أن ذلك صحيحاً. لكن ماذا يمكن أن يكون أيضاً؟

وبينما هي تفكر، رن جرس الهاتف على الطاولة قرب الكنبة. مدت سالي يدها، بتنهيدة، ورفعت السماعة إلى اذنها.

قالت: «آلو؟»

«سالي، أنا كلايف. كيف حالك؟»

«كلايف؟ أنا مسرورة لسماع صوتك!» جلست سالي وهي تبتسم باطمئنان. لم تدرك كم كانت يائسة وبحاجة إلى صوت مُشجع. ثم عبست: «إذا كنت فعلاً تريد أن تعرف، أنا لست جيدة جداً.»

«لِمَ، يا سالي؟ ما الخطب؟» كان كلايف مهتماً تماماً: «هل حدث أمر ما؟ هل أنت مريضة؟»

«لا، لست مريضة. لكن، أجل، حدث أمر ما.» صممت سالي، مترددة بشأن شرح كل المأزق على الهاتف: «انظر، سأخبرك كل شيء عندما تأتي في الغد.» ثم أضافت: «لكن لا تقلق، أنا متأكدة بأنه أمر يمكننا تدبره.»

«لقد قلقت للتو.» كان صوت كلايف جاداً: «هيا، يا سالي، اخبريني بما يجري.»

شعرت سالي بالذنب. ما هذا المأزق الذي سببته له! والآن، لجعل الأمور أسوأ، سببت القلق لكلايف.

«انه ابن أخ العمة ميمي.. جوش، أتذكره؟ لقد مر إلى المتجر، وافتعل مشكلة.»

«مشكلة من أي نوع؟ هل سبب لك الأذى؟»

«لا، بالطبع، لا.» كان ردها سريعاً. لقد كان جوش خطيراً، لكن ليس بالطريقة التي قصدها كلايف. ثم اسرعت قائلة: «يبدو أنه يحيك الاتهامات حول العمل..» ثم توقفت

فجأة: «انظر، دعنا لا نتكلم عن ذلك عبر الهاتف. سأخبرك كل شيء عندما اراك. متى ستعود؟»

كانت هناك لحظة صمت قصيرة.

«كلايف؟»

ثم تكلم بصوت قلق: «سأعود عند موعد الغداء تقريباً. اهتمي بنفسك الآن. سأراك لاحقاً. ليلة هادئة يا سالي واحلاماً سعيدة.»

فكرت وهي تستعد للنوم بين اغطية الفراش تلك الليلة أن هذه مصادفة جيدة، فقد أطمأنت لأنها علمت أن كلايف سيحضر لاحقاً. على الأقل سيكون هناك شخصاً يعطيها بعض الدعم.

لكن هذا كان كل شيء يستطيع تقديمه لها. حدقت في الظلمة. كانت هذه فكرة حقيرة، فكلايف ليس نظير جوش. وإضافة إلى ذلك، فهي لا زالت مقتنعة أن هذا الصراع هو بينها وبين جوش.

تنهدت واغمضت عينيها. لا يجب أن تسلم كلايف إلى عدوه بضعف فهي لولاه لما قدرت على النجاح عبر الثمانية عشر شهراً الماضية. فقد استطاع وضع قليل من رأسمال المدفوع للعمل، وبالنسبة لجهده وحماسه في الاسهام فقد كان نبعاً لا ينضب.

جعلها ذلك تشعر بالاثم مجدداً. والآن بفضلها خضع كلايف لفقدان ما عمل جاهداً من أجله ولكن هذا ليس عدلاً. وهو في الواقع لا يطاق. لن تسمح بحدوث ذلك!

هذا ما قررته فجأة. لو أن كل مشاكلها المتدفقة تنبع من تلك الحادثة مع العقد، لكانت عالجت ذلك منذ وقت بعيد

وجعلت جوش يعلم الحقيقة. لكنها لم تفعل ذلك بسبب عشرات من الأسباب المختلفة... فقد اخبرت نفسها أن ذلك لا يهم، لأنه لن يصدقها. لكنه أصبح الآن مهماً وهي بطريقة ما، ستجعله يصدق.

قطعت وعداً على نفسها. الأمر الأول أن تذهب غداً صباحاً إلى منزل جوش وتخبره بكل شيء... آملة أن تنتهي كل المسألة قبل مجيء كلايف في وقت الغداء.

عند تلك الفكرة التفاؤلية اتجهت للنوم.

استيقظت بعد أقل من سبع ساعات على صوت جرس الهاتف.

كان ذاك جوش: «عليك المجيء إلى منزلي في غضون ساعة. وأنا اعني في غضون ساعة.»

اسرعت سالي بالجواب: «كنت انوي المجيء إلى بيتك على أية حال.»

لم تكن بحاجة لإزعاج نفسها بالرد. لأن الاتصال كان قد انقطع.

الفصل الرابع

«هل تستمتع بإيقاظ الناس من أسرّتهم وبعدها تجعلهم يتسكعون هنا وهناك؟»

ضمت سالي قبضتيها اللتين كانتا مندستين في جيبي سروالها الجينز بينما هي واقفة في منتصف مكتبه في المنزل وتحدق بنظرات ملؤها البغض والعداوة إلى ظهر جوش: «لم استطع حتى ايجاد الوقت للفطور!»

«في هذه الحال، لا بد انك جائعة.» استدار ببطء ليواجهها مطفئاً جهاز الكمبيوتر الذي كان واقفاً أمامه للدراسة: «سأسأل السيدة لووي، مدبرة المنزل، اعداد شيء لنا معاً. ماذا تحبين؟» نظرت العينان السوداوان إليها نظرة تقييمية: «معجنات؟ لحم وبيض؟ فنجان قهوة؟»

حدقت إليه سالي من جديد، محاولة ان تسأله ماذا يريد بطلبه بعد دفعها للمجيء بسرعة خلال ساعة، كما طلب، لقد أمضت نصف ساعة وهي تعبث في قاعة الاستقبال وقد كانت في حالة مزاجية لا تسمح بهذا العرض من الشهامة الزائفة.

كان محقاً، فقد كانت جائعة، لذا قالت عوضاً عن ذلك بصوت محكم: «أفضل فنجاناً من القهوة وشريحة من الخبز المحمص.» ضيقت عينيها الخضراوين وهي تنظر إليه: «لم تجب على سؤالي. لِمَ طلبت رؤيتي بمثل هذا الالحاح؟ من الواضح ان الوضع ليس مُلحاً ولو قليلاً.»

«لربما، كما قلت، استمتع بإيقاظ الناس من أسرّتهم، ثم ادعهم يتسكعون هنا وهناك لبرهة.» جلس على طرف المقعد وابتسم تلك الابتسامة المتعجرفة التي تثيرها. رفع حاجبيه ثم قال: «وذلك يستحق العناء. فلم أرك جائعة هكذا من قبل.»

«هناك أشياء كثيرة لم ترها!»

اتسعت ابتسامته وهو يقول: «ترددين التهديدات، وبالفعل تبدين فاتنة عندما تكونين مجنونة.»

تلك الفكرة القديمة! هزت سالي رأسها بالرفض. مع انها كانت مدركة بأن تورد خديها قد ازداد، وأنها قد أصبحت قريبة جداً للاستسلام إلى ذلك الفعل اللاارادي القديم في الوصول بسرعة إلى لمس شعرها. جعلتها تلك الطريقة التي نظر إليها بتلك العينين السوداوين ترتعش.

ما خطبك؟ وبّخت نفسها، إنك تتصرفين وكأنك قد عدت ابنة الحادية عشرة من عمرك مجدداً!

مال برأسه باتجاهها: «إذاً، لِمَ أنت مغفلة إلى هذا الحد؟ هل نصف ساعة من وقتك مُكلفة لهذه الدرجة؟ هل تستحق فعلاً هذا الارتباك لأجلها؟»

«لست مرتبكة، أنا فقط منزعجة، وقادرة على التبرير! ان أي شخص سينزعج عند معاملته بهذه العجرفة. استُدعيت بطلب هاتفي عند السابعة والنصف صباحاً، ثم اترك أتسكع هنا وهناك انتظر حتى تشعر بأنك أحببت رؤيتي! أتعرف، لقد أصبحت وقحاً!»

وبينما هو يبتسم لها، غير نادم، تهيّأ لسالي ان شعره

كان أكثر تجعيداً من العادة. شعرت بتوهج رهيب وفوري في داخلها، لأن تلك الفكرة ذكرتها بكارين.

لذلك، بينما هي تتقدم داخل أبواب المنزل، وجدت أن من كان يسير أمامها متجهاً للرحيل لم يكن سوى كارين، ركّزت نظرها أمامها، وتجاهلتها، تماماً كما فعلت من قبل.

فهمت، فكرت سالي، فيما مشاعرها مضطربة. من الواضح ان قصة الحب هذه لا زالت منتعشة.

حاولت إخبار نفسها وهي توقف سيارتها ان كل ما شعرت به كان استنكاراً لطريقة جوش المخزية في تباهيه على المعجبات به. لكنها عرفت الآن ان الأمر ليس كذلك، فعندما نظرت إلى شعره وجاهدت لقمع التوهج الذي حدث في داخلها، علمت ان ما شعرت به كان أمراً لا ينبغي ان تحس به.

فكرت، أنا غيورة، ارتعبت سالي لهذه الفكرة. لِمَ يجب ان أكون غيورة؟

قطع جوش حبل افكارها وابتسم قائلاً: «إذاً، لقد أصبحت وقحاً، أليس كذلك؟ أوه، حسناً. لست أول من يخبرني ذلك.»

«لا شك بأنني لست أول من يفعل ذلك، ولا أعرف لِمَ تبتسم.»

نظرت إليه سالي من جديد بوجه غير معبّر عما يجول في خاطرها. لا تحيّري نفسك، قالت ذلك لنفسها. فأنت تقشعرين، وتبدين حمقاء غيورة. ما هذه التجربة المريرة التي تجري؟

رمقته بنظرة ملؤها البغض: «لم يكن ذلك اطراءاً.»

اتسعت ابتسامته: «لا؟ يا لخيبة الأمل.»

«أراهن.» راقبته سالي، مقاومة حثها على الابتسام. فابتسامته يمكن ان تكون حقاً مزيلة للنقمة ومفسدة. «مهما يكن، فأنا متأكدة بأنك تستطيع العيش من دون اطرائي.»

تابع جوش ابتسامه لها: «حسناً، لقد نجحت حتى الآن. لم تكوني سخية باطراءاتك أبداً.»

«لم أجد شيئاً لأمدحه أبداً.»

التقت عينا جوش بعينيها: «هكذا فعلاً.»

«وإضافة إلى ذلك، فيوجد هناك دائماً الكثير من الأشخاص يكملون افتقاري للسخاء. وانا متأكدة بأنه لازال هناك. أنت دائماً تحب ان تُحاط بالمعجبات.»

هز رأسه ببساطة وتابع مزاحه، دست سالي يديها في جيبي سروالها بعدم صبر.

وضّحت بحساسية شديدة: «أراهن بأنك لا تترك الأفراد الآخرين، أعني معجباتك يتسكعن هنا وهناك وينتظرن نصف ساعة؟»

«معاملة خاصة للحالات الخاصة.»

«آه! في هذه الحال، اعتقد بأنه يجب عليّ ان أشكرك لأنك جعلتني أنتظر نصف ساعة! اعتقد بأنه يجب عليّ اعتبار نفسي محظوظة لأنك تنازلت لرؤيتي بأية حال!»

تغير تعبير جوش بحدة. فلم يعد يبتسم. وقال: «لو كنت مكانك، لكنت أجلت المحاكمة بشأن ذلك، حتى ينتهي لقاؤنا، في ذلك الحين.» أضاف بابتسامة باردة: «محتمل ألاّ تشعري بأنك محظوظة إلى هذا الحد.»

نظر إلى عينيها للحظة قبل ان يستدير ويمد يده لالتقاط

احدى سماعات الهاتف على المكتب ثم سألها: «قهوة وخبز محمص؟ هل أنت أكيدة ان هذا كل ما تريدينه؟»

أومأت سالي: «هكذا سيكون كافياً.» تساءلت سالي ماذا قصد بقوله، محتمل ان لا تشعري بأنك محظوظة إلى حد ما. إنها ذكرى مروّعة ذلك الصراع الآخر الذي اطبق عليهما ـ الذي يخص مستقبل متجرها ـ والذي تلقته كأنه تهديد غير مطمئن.

راقبته بحذر من تحت أهدابها وهو يضرب عدة أرقام على الهاتف ويخاطب مدبرة المنزل. هل كان يخطط لاطلاق مفاجئة أخرى اليها؟ لربما قد أحضر موعد طردها من المتجر؟

تنهدت سالي بعد لحظة من الهلع التي أصابتها وأجبرت نفسها داخلياً على البقاء هادئة ومسيطرة على نفسها. لقد عاهدت نفسها الليلة الماضية على انها ستخبره بشأن العقد الذي كان أساس كل شيء، لذلك، لا زالت تشعر بالثقة.

لن يكون من السهل اقناعه. وبرغم ذلك ليس لديها دليل، فعليها ان تعتمد على قدرتها في الاقناع. ويبدو ان قدرتها تهجرها عندما تكون في مواجهة مع جوش!

وضع الهاتف جانباً، ثم استدار لمواجهتها قائلاً: «فطورك سيكون جاهزاً هل تمانعين في تناوله هنا، أم انك تفضلين الذهاب إلى غرفة الطعام؟»

«هنا جيد.» هذا اللطف، هذا الاهتمام، هذه العناية، طالما كان بارعاً في التظاهر بهذه الأخلاق كان ذلك جزءاً من قوته، جزءاً من فتنته. لكنه بالطبع كان سافلاً، إذ انه لا

يعطي شيئاً من دون فائدة. على الأرجح، الحقيقة انه يستمتع برؤيتها تغص بطعام الفطور هذا الذي طلبه بلطف شديد.

بقي جالساً على طرف المكتب: «حسناً، لم لا تجلسين على كرسي؟» وأشار إلى إحدى الكراسي ثم أضاف: «استريحي، فبرغم كل ذلك أتوقع بقاؤك هنا لبعض الوقت.»

توقعت ذلك منذ البداية، لذلك تمنت ان تنتهي عند موعد الغداء، عند وصول كلايف، لهذا السبب اتصلت بشيرين وطلبت منها الاهتمام بالمتجر.

لذلك، الأفضل لها ان تُسرع في البدء، نظرت في عيني جوش وهي تنقل الكرسي: «قبل ان نبدأ، لدي أمر أريد اخبارك به...»

قاطع كلامها عمداً: «ما رأيك بمكتبي؟»

قالت له: «أنا...» ارتبط لسانها، اقترابه منها قد ملأ مشاعرها، غمرها، مرسلاً هلعاً عذباً مفاجئاً من الذكريات اندفع في داخلها بقوة.

«العمة ميمي كانت لطيفة جداً معي لأنها سمحت لي استعمال هذه الغرفة. لربما تذكرين ـ فقد كانت مستعملة على انها احدى قاعات الاستقبال الرئيسية.» كان يبتسم ابتسامة غريبة، نظرت العينان السوداوان اليها نظرة ثاقبة وأضاف: «كان يسمح لنا باللعب هنا عندما تمطر.»

«أذكر.»

«أيام سعيدة، أليس كذلك؟»

«أجل، كانت أياماً سعيدة.»

فيض آخر من الذكريات انصب في داخلها وهي تقول ذلك، ذكرى أحداث ماضية. لم تكن واثقة. كل ما عرفته انه كان هناك توقاً مؤلماً مفاجئاً في داخلها، غير قادرة على حجبه، أخفضت نظرها نحو الأرض.

سمعته يقول: «كم هو محزن انتهاء امور كهذه.»

«أجل انه كذلك.»

استمرت بتحديقها في السجادة، وهي تفكر كم هو محزن انتهاءها بهذه الطريقة البشعة، مفسدة تقريباً كل السعادة الماضية.

تذكرت فجأة وهي تفكر بذلك ان هناك أمراً عليها اخباره به. نظرت إلى وجهه مجدداً، إلا انها لم تتذكر ما هو هذا الأمر. كان جوش ينظر إليها بنظرة حادة جداً جعلتها للحظة غير قادرة على التفكير بأي شيء على الاطلاق.

لم يذهب عنها هذا الشعور إلى ان خطا خطوة بعيداً عنها، بقي يراقبها وهو جالس على احدى الكراسي الجلدية.

جلست سالي في المقعد المواجه له، بينما قال لها متابعاً النقاش: «من المفيد امتلاك هذه الغرفة. ومع ذلك لا أمضي كثيراً من الوقت هنا، إلاّ عندما أكون بحاجة لقضاء بعض الأعمال. لحسن الحظ، العمة ميمي كانت دائماً متسامحة بشأن هذه الأمور.»

أومأت سالي: «بالطبع.» العمة ميمي كانت شغوفة بجوش.

ألقت نظرة سريعة حولها، عيناها لا تنظران شيئاً، إلا انها فقدت الأمل فجأة في ابعاد نظرها عن نظره وطرد المشاعر المفاجئة والعنيفة التي بعثتها تلك الرحلة القصيرة الى

الماضي في داخلها، لم تنظر إليه مجدداً إلى ان شعرت انها أمسكت زمام الأمور من جديد.

كان صوتها محدداً: «ينبغي ان تكون مشغولاً. اقصد، بما انك مضطراً للاستمرار بالعمل حتى عندما تكون في إجازة.»

«ليس عملاً بالمعنى الدقيق. فقط مكالمات هاتفية عادية.» توقف لبرهة وابتسم بمرح: «وبالطبع، المراجعة العادية السريعة للكمبيوتر.»

قالت بصوت ساخر: «بالطبع، المراجعة العادية السريعة للكمبيوتر التي تجبرك على ترك الأفراد ينتظرونك.»

قولها هذا طرد أخيراً كل المشاعر الحساسة التي لديها. اعتدلت في جلستها وأضافت: «إذاً لم أنا هنا؟ اشرح بلطف هذا الاستدعاء المفاجيء.»

في تلك اللحظة كان هناك طرقاً على الباب.

«ادخلي، سيدة لووي!» نهض وخطا نحو الباب للسماح لها بالدخول.

رمقت المرأة سالي بنظرة مرحة وهي تدخل حاملة صينية. استدارت ناحية جوش ثم قالت: «لقد اعددت كمية كافية من القهوة لشخصين في حال شعرت انك ترغب في تناول فنجان.»

«مدبرة منزل ممتازة. اعتقد بأنني سأفعل.» أخذ الصينية منها ثم وضعها على المكتب: «لطالما كنت خبيرة في تنفيذ رغباتي قبل ان اطلب.»

ابتسمت السيدة لووي لإطرائه. فهو يعرف كيف يجعل مدبرة منزل العمة ميمي تبتسم دائماً!

ما إن مضت المدبرة وهي لا تزال تبتسم، عاد وجلس في مواجهتها وقال: «تناولي فطورك، ربما في أثناء ذلك ان تمانعي في صب فنجان من هذه القهوة الذكية الرائحة لي.»

«لا مانع على الاطلاق.» استدارت نحو الصينية إلى جانبها، أمسكت ابريق القهوة الفضي وصبت فنجاني قهوة. بعدها ومن دون تفكير بما تفعل، صبت قليلاً من الكريما في احداهما، حركتها مع ملعقة من السكر ثم ناولتها لجوش.

نظر اليها وهو يأخذ فنجان القهوة من يدها: «لقد تذكرت. هذا رائع، لقد تأثرت كثيراً.»

«لا تتأثر، فهذا لا يعني شيئاً.» لكنها ما لبثت ان ابعدت نظرها بعيداً، مدركة الوهج الدافيء الذي بدأ يزحف فوق وجنتيها. لأن ذلك قد أثّر بسالي أيضاً، وهي تناوله فنجان القهوة، لأنها تذكرت كيف أخذ قهوته من دون حتى اضطراره للتفكير بشأن ذلك. شعرت بقليل من الارتباك بدا ذلك وكأنه دفئاً غير ملائم.

قالت بحذر عرضي: «عقلي مليء بكل أنواع التفاهات التي ليس لها معنى. ذلك كان مثلاً بسيطاً على ذلك.»

استمر يراقبها من فوق حافة الفنجان، كرد على ذلك، ثم رشف قليلاً من القهوة. بعدئذ بدا لسالي وكأنه فقط لمجرد ازعاجها، علّق قائلاً قبل ان يضع فنجان قهوته مجدداً: «لا زلت تذكرين ذلك بشكل دقيق تماماً. الكمية الصحيحة تماماً من الكريما والسكر. انني أجد معظم الافراد يميلون للمبالغة في ذلك.»

اجابت: «اعتقدت اننا هنا لهدف... اقصد أمراً آخر غير مناقشة كيف تحب قهوتك.»

«بالفعل هو كذلك.» جالت عيناه عليها. ولم تكن نظرة عادية، بل وكأنه يدرسها.

ضغطت على نفسها للنظر اليه مجدداً، متغلبة على ازعاجها. تذكرت فجأة ما خططت لاخباره به، جلست في مقعدها في مواجهته، تنحنحت ثم بدأت: «هناك أمر أود ان...»

قاطعها مرة ثانية: «فطورك سيصبح بارداً. تناوليه، فهو أفضل عندما يكون ساخناً.»

تنهدت واستدارت بسرعة نحو الصينية منزعجة فهي لا تحب التأجيل، أخذت نفساً عميقاً ثم استدارت نحوه.

«انظر...»

كان ذلك بقدر ما توقعته. تجمدت في مقعدها، مصدومة بالتعبير القاسي المفاجيء على وجهه. أصبحت عيناه فجأة كغيوم ضبابية سوداء.

«هل تعرفين ما هي هذه؟» أشار بعينيه إلى الفخارة الزرقاء على شكل بومة والتي يمسكها بيد واحدة. كان صوته أجشاً كصوت تحطم الصوان.

حدقت سالي بدقة إلى البومة، وهي مقطبة ثم نظرت إليه وقالت: «أجل.»

«ما هي؟»

«انها بومة، بومة فخارية.» ما هذا السؤال الغبي. فأي شخص يستطيع رؤية ذلك.»

استمر جوش بالنظر إليها، متجاهلاً سخريتها، ثم قال بعد مرور لحظة: «ومن صنعها؟»

تعرف الجواب على ذلك أيضاً، فقد عرفت البومة فوراً. مع ذلك ترددت للحظة قبل ان تجيب: «انها لكارين.» رؤية البومة وعودة موضوع كارين ارسلا في نفسها طعنة حادة من الاستياء.

قطع جوش ترددها. وواصل اساءة الفهم: «انني مسرور لأنك تصرين على محاولة انكار كل المعلومات. ان لم يكن هناك شيء آخر، فهذا يوفر لنا قليلاً من الوقت.»

عم يتكلم؟ عبست سالي: «ما الذي انكره؟ وما علاقة فخارة كارين بأي شيء؟»

«يا للبراءة.» جاء دور جوش للسخرية. وضع البومة على المكتب، ثم جلس في مقعده وابتسم ابتسامة جلاد: «اردت ان تعرفي لم قررت تصفية اعمالك.» تألقت عيناه بالحقد وهو يتابع: «البومة هي السبب.»

لم تكن الأذكى. كان يتكلم بالألغاز. وكان أيضاً يتصرف بتناقض. تابعت لفت نظره إلى ذلك.

مدت يدها إلى قطعة الخبز المحمص بهدوء قدر المستطاع ـ ابتسامته تلك جعلتها تفقد شجاعتها قليلاً ـ علّقت وهي تمسح الخبز المحمص بقليل من الزبدة: «اعتقد بأنك ترفض مناقشة اسبابك إلى ان يحضر كلايف.» رمقت جوش بنظرة من تحت أهدابها ثم تابعت: «لقد قلت شيئاً بشأن توفير الوقت.»

«أجل، هذا ما طلبته.» رشف رشفة أخرى من قهوته، من دون ان يبعد عينيه عن عينيها: «لكن، لسوء الحظ، لقد اجبرت على تغيير مخططاتي. ليس لدي وقت لأضيّعه في التسكع هنا وهناك بانتظار شخص لن يحضر.»

أخذت قطعة من الخبز المحمص ثم أخبرته: «لا تكن عديم الصبر، فكلايف سيعود اليوم في وقت الغداء. ليس عليك ان تنتظر طويلاً.» استدارت قليلاً كي تصل إلى فنجان قهوتها: «لذا كل هذا الإلحاح المفاجيء يُعد نوعاً من الحمق بالفعل. بإمكانك انتظار ساعتين اضافيتين.»

في تلك اللحظة بالذات كانت على وشك الاختناق بالخبز المحمص، فقد ظن شيئاً في رأسها وسقط أرضاً بارتطامه بالحائط على يمينها. التفتت حولها، وقلبها ينبض بقوة: «ماذا جرى؟»

ما رأته كان لعبة السهام التي لم تلحظها من قبل، حيث لا زال يهتز سهماً احمر في منتصفها. التفتت حولها لتتهم جوش بعبوس: «هل تحاول قتلي؟»

«لو انني أحاول قتلك، لكنت جعلتك هدفي وليس لوحة الأسهم، مما يصادف ان تكون خطأ مختلفاً تماماً من خطوط اطلاق النار.» احست من نظرة عينيه وكأنهما تحذرانها ان بامكانه تغيير رأيه، اخذ سهماً آخر من العلبة الخشبية التي على المكتب ـ شيئاً آخر لم تلحظه سالي ـ ارسل سهماً آخر ليستقر على لوحة الأسهم، في نقطة النصف تماماً.

حملقت بلوحة الأسهم ثم به وقالت: «استغرب انك لا تضع صورتي هناك! ذلك سوف يبين دوافع غرضك الشريف.»

ابتسم لذلك: «ربما أفعل ذلك عادة. ربما قد انزلتها قبل وصولك مباشرة.»

عبست سالي: «لأجل احترام مشاعري. كم هو بعيد الاحتمال.» مع انها هي من اقترح هذا في المقام الأول،

فهي على الأرجح قد كرهت الاحتمال الذي يمكن ان يكون حقيقة!

أمسك سهماً آخر: «إذاً، ماذا كنت تقولين؟ بشأن كلايف... شيئاً بخصوص عودته إلى المنزل اليوم؟»

«أجل، هذا ما قلته. سيعود في وقت الغداء.»

هز رأسه ثم قال: «حاولي من جديد.»

قطبت سالي: «ماذا تقصد؟ ماذا تقصد بحاولي من جديد؟»

«أقصد حاولي من جديد، وهذه المرة حاولي بصدق.» تالق السهم الفولاذي بشؤم في يده: «ليس لدي مزاج لسماع الأكاذيب.»

«لِمَ اكذب؟» حدقت إلى السهم بطريقة هامشية أقل هلاكاً من النظرة التي في عينيه: «لقد اخبرت كلايف وسيعود عند الغداء.»

انطلق السهم من يده يطن بدون وضوح من خلفها. قفزت سالي بعصبية عندما ارتطم السهم باللوحة. لم تزعج نفسها في التحقق إذا ما كان ذلك عين الثور (نقطة على لوحة الاسهم) والغريب في الأمر انها عرفت انها كذلك.

الا انه كان يوجه هدفه للرماية مع ذلك الاتهام الغريب. كررت قائلة: «عند الغداء. هذا ما اخبرني به الليلة الماضية على الهاتف.»

وقف جوش فجأة جاعلاً اياها تثب من جديد. ثم اختطف البومة الفخارية الزرقاء من على المكتب، خطا باتجاهها ودفعها نحوها.

«اقرأي ما كتب على اسفل هذه.»

جفلت ما إن أخذتها، خطى مبتعداً عنها نحو لوحة الأسهم وبحركة واحدة انتزع الأسهم الثلاثة. وقف أمامها ثم راقبها بعينين داكنتين: «اقرأي ما كُتب بصوت عالٍ.»

كان من الصعب التركيز وهو يقف أمامها. غمرها الخوف فجأة من ان يمسها.

ابتلعت ريقها بصعوبة واستجمعت نفسها. كانت تتصرف كحمقاء، غير ناضجة في الحادية عشرة من عمرها.

«كُتب عليها بولي اونغ.» رفعت عينيها إلى عينيه، ثم ابعدتهما بحدة عندما بدت نظرته وكأنها تحرقها: «واضح انني اخطأت. انها ليست كارين على أية حال.»

ضحك مما جعلها تقشعر: «لا، لست مخطئاً، كما تعرفين تماماً.» انتزع الطائر الفخاري من بين أصابعها بينما هو يتكلم: «هذه البومة لا يمكن ان تكون من صنع احد سوى كارين.»

«هذا ما اعتقدته في البداية... انها شبيهة جداً لاحدى الفخارات كانت لدينا مؤخراً في المتجر. لكن مكتوب عليها بولي اونغ.» ابتعد قليلاً فوجدت نفسها تتنفس براحة أكبر الآن: «واضح ان لديهما اساليب متشابهة جداً.»

لسبب ما، بدت تلك الاشارة قادرة على اغضابه، انتقل ليواجهها من جديد: «لا تجلسي هناك وتكذبي علي! هل تظنينني معتوهاً؟ اعرف ما يجري!»

«حسناً، هذا أكثر مما افعل أنا!» نهضت سالي على قدميها. اكتفت فجأة من الجهد العنيف شفهياً، من دون ذكر السهام التي مرت تطن قرب اذنها. «لا أعرف شيئاً عن فخارتك أو عن الذي صنعها! لا أعرف من هي بولي اونغ،

وبصراحة، لا يهمني! وارغب في اخباري ما هو الأمر الذي تحاول قوله لي فقط!»

«سأخبرك ما احاول قوله لك، انت مزيفة حقيرة، انت كاذبة حقيرة!» قبض جوش على معصمها وقرّبها منه، دافعاً البومة الفخارية في وجهها. «هذه الاشارة هنا، التوقيع، بولي اونغ، قد طبعت فوق الاسم الحقيقي. من الصعب رؤيتها بالعين المجردة، لكنني اؤكد لك ان الاسم الحقيقي كان ك، توقيع كارين، كما تعرفين.»

أعلنت سالي من دون تفكير وهو يهزها: «أجل، اعرف ذلك.» فجأة، وجدت أن من الصعب الربط بين الكلمات.

لم يعد يمسك بها، الا انها كانت وكأنها مقيدة. غالباً ما رغبت في ان تقدر وبطريقة ما شرح سبب عدم تحريكها. سيكون بامكانها عندها القاء اللوم عليه.

لكنها لم تستطع. كانت تقف هناك باختيارها لسبب ما، تتنفس من دفئه، شاعرة ان ذلك يثيرها، وثب قلبها فجأة وكأن شيئاً عاصفاً في صدرها.

كان ذلك جنوناً وقد أخافها، لكنها لم تقو على تحريك هذا الشعور بعيداً.

بعدئذ وبرغم الضجيج الذي في رأسها، سمعته يقول اسم كلايف: «إذاً، ألا زلت تدافعين وتقولين بأنه سيعود عند الغداء؟»

شعرت بفيض من العار يسري فيها. لِمَ كانت تفكر؟ كلايف كان صديقها. الرجل الذي أراد الزواج منها، الرجل الذي كان من الممكن ان تمضي بقية حياتها معه.

والآن هي تتلهف وراء الرجل الذي كرهته والذي لا يرغب

لها ولكلايف سوى الضرر. تتلهف لأجله. ليس هناك طريقة أخرى للتعليق على ذلك.

خطت خطوة نحو الوراء. مليئة بالاشمئزاز لنفسها، وجاهدت قليلاً للرد على سؤاله. تنحنحت بسرعة ثم أجابت بصوت أجش: «بالطبع لا زلت اعتقد، سيكون في المنزل اليوم عند الغداء.»

«لا، لن يفعل، وانت تعرفين ذلك!» خطى مبتعداً بازدراء. أصبحت عيناه كمقص يقطعها إرباً: «لن يعود. بالتأكيد ليس اليوم، اعرف كما تعرفين أنت جيداً ان عزيزك كلايف قد هرب.»

اختلست النظر إليه: «هرب؟ لم يفعل ذلك؟»

«لأنه يعرف انني ألاحقكما. لا شك انك اخبرته وبالنسبة لما سمعه اصبح مفهوماً انه يفضل ان يبتعد عن الطريق لبرهة، ومع ذلك فهذا يعني تركك لتلقّي كل الضغط في مجرى الاحداث.»

«لا أعرف عما تتكلم.» غرقت في مقعدها مجدداً، مستنفدة فجأة كل الجهد في متابعة هذا النقاش: «ارغب ان تبدأ بقول شيء يكون مفهوماً بعض الشيء.»

رمقها بنظرة قاسية. من الواضح انه اعتقد بأنها تخدعه: «حسناً.» اذعن جوش لها، وعاد يجلس مجدداً في مواجهتها: «دعينا نجرب بعض الحقائق المباشرة ونرى ما إذا كان باستطاعتك فهم ذلك.»

رفع الفخارة الزرقاء أمامها: «اخبريني كم هو ثمن الواحدة من هذه.»

فكرت للحظة: «لست متأكدة مئة بالمئة. فكلايف هو

الخبير بالفخار. لست أنا، لكن يبدو انني أتذكر بأنه كان لدينا واحدة في المتجر كان سعرها محدداً بحوالي خمسة عشر أو ستة عشر باوناً.»

«هذا يبدو معقولاً.»

هكذا تذكرت شيئاً صحيحاً! لا اختيارياً، ارتسمت ابتسامة مُطمئنة على شفتيها.

الا انها لم تلبث طويلاً. انحنى جوش باتجاهها: «إذاً كم تباع هذه في لندن لشكل اكبر بما يقارب عشر مرات هذا الحجم؟»

«عشر مرات هذا الحجم؟»

«لا تتظاهري انك تفاجأت، أنت تعرفين جيداً كم تجلب هذه البومات هناك في لندن.»

لم تعرف سالي شيئاً كهذا. في الحقيقة، عند تلك اللحظة بالتحديد، لم تكن حتى متأكدة من انها تعرف اسمها. حدقت إليه بصمت وهو يتابع: «تصوري استغراب ويأس المسكينة كارين عندما كانت تسير إلى متجر للحرف اليدوية قرب مسكني ورأت عملها معروضاً للبيع، تحت اسم آخر، تحت سعر أغلى مما دفع لها. أنا متأكدة بأنك تقدّرين اضطرابها من غير ريب.»

حدقت إليه. من بين كل الأمور التي أخبرها بها برز أمر واحد، مزعجاً بقسوة، قالت له: «متجر للتحف قرب مسكنك؟»

«هذا صحيح قرب ريجنت بارك.»

الآن عرفت أين يقطن. عبست: «ماذا كانت تفعل كارين في ريجنت بارك؟»

رفع حاجبيه مستغرباً من سؤالها واجاب: «كانت باقية معي. لا أرى ان ذلك يغير شيئاً.»

لن يغيّر شيئاً. لكن، الأمر نفسه قد حصل. هذه علاقة مع كارين، لم تكن رغم كل شيء مجرد ارتباط جديد زائل، كما اتضح لها فجأة.

وجدت نفسها تسأل: «متى كان كل هذا؟»

«تقصدين عندما اكتشفت كارين ذلك؟ منذ عدة أسابيع، ليس مدهشاً انها انهارت منذ ذلك الحين.»

وجدت سالي نفسها تفكر وهي مدركة انها لم تكن تعرف بهذا الأمر من قبل.

«ربما لم تكن البومات خاصتها.» ضغطت على نفسها لتقول شيئاً. كان يراقبها، ينتظر تفاعلها: «اقصد، لو ان فخارة مثل تلك الفخارة الزرقاء موقعة باسم بولي اونغ، ربما ليست لكارين، ربما هي لبولي اونغ.» عبست، متمنية لو ان كلايف موجود، فهو يعرف كل شيء بشأن الفخارات: «ربما بولي أونغ هي شخص معروف ينبغي ان تكون من عامة الشعب لتطلب أسعاراً كهذه.»

بقي صامتاً للحظة. عيناه تنظران اليها مباشرة، لم يكن متأثراً، فقد استطاعت اكتشاف ذلك بوحي عقلاني تام.

قال لها بصوت عنيف: «بلى، انها بالفعل من عامة الشعب. لكن ليس هناك بولي اونغ. والفخارات هي لكارين.»

«كم يمكنك ان تكون واثقاً من ذلك؟ ربما تكون مخطئاً بشأن تغيير الاسم.»

«كفي عن الكذب، يا سالي.»

«لست كاذبة! أحاول فقط ايجاد تفسير حيث كيف ان بعض الفخارات التي تشبه خاصة كارين يمكن ان تنتهي في لندن حيث تباع لثري تحت اسم آخر! والتفسير الأكثر ترجيحاً الذي اعتقده هو ان هذه الفخارات في الحقيقة لشخص آخر!»

انحنى باتجاهها فجأة، مما جعلها تثب للوراء وقال: «الفنان يعرف عمله الخاص. ولن يغفل عن اخطاء كهذه. رأت كارين البومات وعرفتها على الفور، لقد أمسكتها بيدها وقد عرفت انها خاصتها. لم يكن هناك حتى القليل من الشك في بالها.»

ضيق عينيه السوداوين، مما ثبت سالي في مقعدها: «هل لديك أية شكوك بالنسبة لتطابق رسوماتك مع رسومات احدهم؟ حتى لو وجدت احداها موقعة تحت اسم بولي اونغ...» توقف، جاعلاً السخرية التي في صوته تنهال عليها: «بل رغم ذلك، بالتأكيد، سوف تعرفين ان الرسومات هي خاصتك؟»

«بالطبع سأعرف.» اختلست سالي النظر إلى الأرض، لقد كان ذلك أمراً ليس باستطاعتها الجدل فيه. من الممكن ان يسيء الآخرون لعملها، لكن هي لن تفعل أبداً. فكل نقطة تلوين، كل مسحة فرشاة لكل صورة رسمتها قد وشمت بثبات في دماغها.

تنهدت: «وهل كارين واثقة من غير ريب؟»

ما ان رفعت نظرها باتجاهه حتى سرت قشعريرة باردة في جسدها. لم تر احتقاراً لهذه الدرجة على وجه أحد أبداً.

كان صمته رهيباً، لم يجبها. شعرت سالي وكأن

اعصابها قد تحطمت تحت ثقلها. ثم وكأنه يسعى للسيطرة على الانفعال في داخله، حدد ببطء سهماً إلى لوحة الأسهم من دون حتى ان ينظر إليها.

قال لها بينما السهم يرتطم متصلاً بالفلين: «تعلمين، عندما اخبرتني عمتي ميمي بشأن المتجر. اعجبتني مبادرتك. بدت فكرة جديرة بالثناء ان تدعمي نفسك بمتجرٍ صغير للتحف بينما تواصلين الرسم بجدية في وقت فراغك...»

رمقها بنظرة قاسية: «هل عرفت القصة الصحيحة؟» ارتطم سهماً آخر بلوحة الاسهم: «هذا ما قُلته للعمة ميمي عندما اقترحت الموضوع عليها، ألم يكن كذلك؟ تلك كانت القصة التي من المفروض اننا صدقناها جميعاً.»

احست سالي بجفاف في حلقها ما الذي حدث الآن؟ أومأت ثم قالت: «هذا ما حصل في الحقيقة.»

«اعتقد لا.» أتى صوته هادئاً منذراً. أمسك السهم الثالث بيده: «اعتقد ان المتجر هو غطاء ملائم لمواصلة أعمالك المخادعة. اشتركت مع كلايف، جيد، لقد كان الشريك الجيد للجريمة، ألم يكن؟ تجارب كثيرة سابقة في مثل هذا النوع من الأمور، وتابعت الحصول لنفسك على بعض مهارات اصحاب الحرف الصغار التي بامكانك بيعها بربح أكبر في لندن بينما تتظاهرين بأنك قد بعتها بثمن زهيد هنا.»

ما ان سكت قليلاً طلباً للراحة، حتى أصبحت الغرفة وكأنه قد حصل فيها زلزال حقيقي. «لكن لا ينبغي ان أتفاجأ.» كانت عيناه كالرماح: «فأنت دائماً تميلين نحو ذلك الاتجاه...»

«لا!» في الوقت الذي وثبت فيه سالي للدفاع عن نفسها، انطلق سهم قرب أذنها، سبب لها صدمة فسكتت.

خطا جوش باتجاهها، عيناه تتألقان عليها: «لم يعد هناك سرقة بعد الآن، لا تزييف بعد الآن! نشاطك هذا قد انتهى! انوي ايقافك عن ذلك، أنت وصديقك القذر! هل تفهمين؟» وقف هناك وعيناه تتقدان، ثم تابع: «لطالما كنت لصة، والآن ستدفعين الثمن.»

عندها لم تعد تتحمل توبيخه، فانهالت عليه صارخة في وجهه.

الفصل الخامس

«لا أسمح لك بأن تقول هذه الأشياء عني! أنا لست لصة! لم أكن ابداً!»

اندفعت بقوة نحوه وبدأت تضربه بقبضتيها، دموع الغضب والخيبة انهمرت من عينيها: «ليس لديك الحق بأن تقول هذه الأشياء المخجلة عني!»

«لا؟ فأنت بريئة تماماً، ألست كذلك؟» ابتسم ابتسامة مريرة في الوقت الذي انصبت ضرباتها بضعف على ذراعيه وصدره: «البريئة المدعى عليها؟ اوه، أجل واثق انني سأصدق ذلك.»

«انها الحقيقة! اقسم لك!» امسكته بياقة قميصه، تلويه وتشده وهي تتابع: «كيف يمكنك تصديق هذه الأمور المخجلة عني؟»

ما إن نظرت إلى وجهه، بعينين ملؤهما الألم واليأس، تذكرت العقد وكيف خططت لاخباره القصة الحقيقية. لكن ما الهدف من اخباره ذلك الآن؟

هذا لم يكن بشأن العقد. هذا بشأن امر آخر اكثر فساداً. يبدو انها متهمة بأسوأ انواع الخداع والخيانة، بدت متهمة بخيانة واستغلال احد الفنانين. والصورة الحقيقية كانت مروعة بكل ما في الكلمة من معنى.

شدت ياقة قميصه بقوة من غير جدوى: «لا شيء مما ذكرته صحيحاً! لِمَ تتهمني بكل هذه الجرائم التي تدعيها؟»

«عليك الاعتقاد بصدق كلامي، فلا يوجد أي ادعاء بشأنه.» أمسك جوش بمعصميها برفق، ليوقف هجومها

عليه. نظر في عينيها فجأة بهدوء رائع وقال: «لم فعلت ذلك، يا سالي؟ لقد كنت طفلة رائعة عندما كنت أصغر. كيف استطعت اذلال عائلتك بهذه الطريقة؟»

«عائلتي؟»

اختلست النظر اليه، ارتباك مفاجيء سرى في داخلها. الطريقة الرقيقة التي كان يمسكها بها، والطريقة التي كان ينظر بها اليها، بشيء قريب من الدفء والاهتمام في عينيه، كل ذلك جعل قشعريرة تسري في جسدها.

قطب حاجبيه قائلاً: «عائلتك محترمة ومحتشمة. الا تهتمين لأن ذلك سوف يدمرهم لو عرفوا؟»

«بالطبع اهتم، لكنهم لا يعرفون، هل علموا بشيء؟»

شعرت بالضيق في داخلها عندما فكرت في والديها، فقد ذهبا من القرية للعيش والعمل في سومرست، وبعماتها واعمامها الذين لازالوا يعيشون في الجوار. لن تنجو من العار ان سمع أحدهم بذلك.

هز رأسه: «آمل ان لا يعرفوا ابداً. خصوصاً والدتك فهي لا تستحق كارثة كهذه. هي احدى اروع النساء اللواتي عرفتهن على الاطلاق.»

«اعرف.» وهي تعلم ان جوش يتكلم باخلاص. لديه عيوبه، فيمكن ان يكون متعجرفاً ومستبداً، الا انه كان دائماً يعامل والدتها بكل احترام ولطف. لم تعرف ذلك من قبل ابداً الا انها كانت ممتنة له من اجل ذلك.

حاول ان يخفض صوته وهو يقول: «إذاً لِمَ فعلت ذلك؟ بالتأكيد عدة مئات من الدولارات او حتى عدة آلاف، لا يستحقون جلب السمعة السيئة لنفسك ولعائلتك.»

نظر اليها بطريقة جعلت قلبها ينبض بشدة في داخلها. لم ترَ سالي تلك النظرة في عينيه منذ سنوات. لقد نسيت كم باستطاعته ان يكون دافئاً ومهتماً، مثلما كان في الماضي!

يد واحدة تركت ذراعها وامتدت لتمسك ذقنها: «ماذا حدث، يا سالي؟ هل ذلك الرجل هو من جعلك تفعلين ذلك؟»

سألت سالي بدهشة: «اي رجل؟» ليس باستطاعتها التفكير بشيء سوى الأصابع التي تمسك ذقنها. قالت مجدداً: «أي رجل؟»

«كلايف، اليس هو من جعلك تفعلين ذلك؟»

«لم يكلمني بخصوص اي شيء.»

«لا تستمري بالانكار. فقط اخبريني هل كان ذلك الرجل... هل كان كلايف هو من قال لك ان تفعلي ذلك، سأتفهم الأمر وسننسى ذلك كله. تذكري، انني أعرف أي نوع من الرجال هو. لست اول شخص يضلله كلايف.»

عبست سالي مرتبكة. نظرت في عينيه وسألته: «ماذا تعني؟ انني لست أول شخص يضلله كلايف؟ ماذا تعني عندما قلت قبلاً ان لديه سجله؟»

«الا تعرفين؟»

«أعرف ماذا؟»

«عن سجله.»

«بالطبع لا. ليس لديه سجل!»

«أعتقد بأنك على حق، ليس لديه. فلقد نجا من ذلك بطريقة تقنية. الا انه كان مجرماً. حتى محاميه الخاص ليس لديه شك بذلك. لقد قام بالسطو هو وصديقه.»

«عم تتكلم؟» كان هذا النقاش مضحكاً. واكثر من مضحك،

فقد وجدته سالي منذراً ومخيفاً. لديه الجرأة لقول كل هذه الأشياء المروعة عن كلايف!

عادت إلى وعيها فجأة، وكأنها تحررت منه: «ما تقوله مشوه للسمعة! لن أصغي لأية كلمة أخرى من ذلك!»

«كم أنت شريفة ومخلصة.» اصبح تعبيره قاسياً فجأة: «طبيعي ان أجد هذه العواطف الرائعة، لكن في هذه الحال، انا آسف، فانني على الأرجح اجد ذلك داعياً للاشمئزاز. فمجرم كهذا غير جدير باخلاصك، يا سالي.»

«لمَ، بما انني مجرمة ايضاً، بالتأكيد ليس هناك شيء أكثر وضوحاً؟ نحن المجرمون علينا ان نبقى مخلصين بعضنا لبعض!»

«هل هناك اخلاص بين اللصوص؟ ليس هناك شيء كهذا، لا تتابعي عملك مع ذلك الرجل وسوف تجدين ذلك منتهياً، حالاً.»

«لا، بل سأتابع عملي معه!»

شعرت بالغضب والتحدي فجأة. لم تأبه لما اعتقده جوش. كان كل شيء محال.

خطت مبتعدة عنه: «لقد اخذت ما يكفي من هذه التفاهات. إذا كنت قد انتهيت فأود ان أرحل الآن!»

أثناء انتزاعها لحقيبتها سد لها جوش المدخل: «اوه، لم انته منك بعد، ولأكون صادقاً، لم أبدأ معك حتى الآن.»

شعرت بالضعف يسيطر عليها. عرفت انه يعني ذلك حقيقة. فجوش لم يكن ابداً صديقها، اما الآن، فقد اصبح عدوها ولا سبيل إلى تغيير ذلك.

لا زالت تضغط على نفسها للنظر إلى وجهه: «إذاً ماذا

ستفعل معي؟ هل ستشدني وتقطعني ثم تضع رأسي على وتد؟»

ابتسم ابتسامة شرسة: «لا شيء مسرحي كهذا. كل ما انوي فعله هو وضع حد لخداعك، بالطبع استعادة الأموال التي سرقتها وإعطائها لمالكها الحقيقي.» تابع وهي تحملق به: «اكراماً لوالديك، آمل ان أفعل ذلك كله من دون تدخل الشرطة. وان لم يكن اكراماً لهما فلن ارجو ذلك مرتين، وسيكون من دواعي سروري ان اراك خلف القضبان.»

فكرة رائعة! اقشعرت سالي لبرودة كلماته. جفلت عندما تحرك فجأة. الا ان كل ما فعله هو ان خطى جانباً.

قال لها: «بامكانك الذهاب، هذا كل شيء بالنسبة للآن.»

خطت من خلفه بسرعة وركضت نحو الباب، توقفت عند المدخل فجأة واستدارت لتنظر اليه: «إلى أي حد أنت واثق بأني متورطة في كل ذلك؟» خطرت هذه الفكرة في بالها فجأة، فقد بدا واثقاً جداً.

نظر اليها مطوّلاً، ثم قال: «اوه، انا واثق، لدي وصف دقيق لك من صاحب المتجر في ريجنت بارك. فهو يتذكرك منذ ان سلمت اول مجموعة من الفخارات.» ابتسم ثم تابع: «لقد كنت غبية. كان ينبغي ان تضعي قناعاً فشعرك الأشقر مكشوف للغاية.»

استدار مبتعداً بطريقة فظة، ليطردها: «الآن ارحلي ولا تقلقي، فسأكون على اتصال.» ابتسم ابتسامة جارحة من فوق كتفه: «كما اخبرتك، لم انته معك بعد.»

كان الوقت متأخراً حوالي منتصف الليل، وسالي في

مكانها المخصص للرسم، ترسم بشكل غير مجد على اللوحة، الا ان ذلك كان تبذيراً للوقت، فلم تستطع التركيز. اذفت فرشاتها جانباً وجلست على كرسيها.

أحد أكثر الأشياء ازعاجاً بالنسبة لها ان كلايف لم يحضر. فوقت الغداء قد حان وانتهى منذ وقت طويل ولم يحضر. حتى انه لم يتصل.

انها محنة كبيرة، لقد امضت يومها في قلق.

«هل أنت متأكدة بأنه ليس هناك اتصال هذا الصباح؟» سالت شيرين اثنتا عشرة مرة على الأقل خلال اليوم. فهذا ليس من عادة كلايف. ليس من عاداته على الاطلاق. فهو يتصل دائماً ان كان يريد التأخر.

لكن هذه المرة لم يتصل. حتى انه لم يكن هناك مجرد اشارة عنه. اتصلت عشرات المرات الى شقته تاركة رسائل على آلة الهاتف، الا انه لم يتصل ليرد عليها على الأقل.

بعد أن اقفلت المتجر، توجهت إلى شقته وضربت جرس الباب بلا توقف وحتى انها تكلمت مع الجيران. لكن لم يره احد والشقة كانت ساكنة ومظلمة. كان من الواضح انه ليس هناك.

عندها بدأت تشعر بقليل من الألم. ماذا لو حدث له حادث؟ تحطم سيارة او شيء آخر؟ لذا اتصلت بالبوليس وطلبت منهم التحقق ان كان ثمة حادث سير في مكان ما على طول الطريق التي يقطعها عائداً إلى القرية.

من أجل طمأنتها، قالوا لها لا. لكن مع انها خففت من رتابة هذا الأمر الا انها ليست واسعة الاطلاع. اين اختفى كلايف ولِمَ؟

كانت غير قادرة على تناول طعام العشاء، فقد اتصلت عند موعد النوم وموعد الفطور الى حيث يبقى كلايف عادة عندما يسافر في عمل حول المنطقة.

أخبرتها المرأة: «أجل، لقد كان هنا، الا انه رحل الليلة الماضية.»

إذاً، الى أين تذهب من هنا؟ دون يأس، قالت ذلك لنفسها. هناك تصميم من اجل شرح منطقي تام ولا بد أنه سيتصل فقط. احتفظي بهدوئك. يبدو انه ارتبط بشكل غير متوقع في مكان ما. ان الأمر بهذه البساطة.

خطت الى مكان الرسم ووضعت لباساً خاصاً لذلك وحاولت ان تقوم ببعض الرسم. ذلك كان يهدئها عندما تكون قلقة بشأن شيء ما. لكن هذه المرة لم تفعل. فلم تستطع التركيز. كانت تتمنى وتتوسل في كل دقيقة ان يرن جرس الهاتف.

حدقت الى الهاتف بينما هي جالسة هناك في صمت جريء: «أرجوك أن ترن! هيا، يا كلايف! دعني أعرف أين أنت!»

تنهدت ومدت يدها إلى قطعة القماش على الطاولة الصغيرة ومسحت بذهول فرشاتها المطروحة هناك، الشيء الأكثر صعوبة في كل هذا بقاء ما قاله جوش بشأن كلايف في بالها.

لقد قال لها: «لن يعود، فكلايف قد هرب.»

بالطبع، هذه تفاهة. مما سيهرب كلايف؟ فهو بريء بقدر ما هي بريئة في كل هذه المسرحية المجنونة! من أين جاء جوش بقصته هذه بشأن مناوشة كلايف مع القانون - هذا ان

لم يخترعها هو بنفسه! وقد كانت اختراعاً صافياً وبسيطاً من البداية حتى النهاية!

خطرت في بالها فكرة أخرى وهي تغمس الفرشاة في مرطبان التربنتين وبدأت تمسح التلوين من المزاجة (مدية يمزج بها الرسام الوانه) كيف يمكن ان يكون احدهم قد رآها في متجر ريجينت بارك في حين انها لم تذهب قرب ريجينت بارك ابداً في حياتها؟ الأمر كله كان مؤامرة مدبرة.

وضعت المزاجة جانباً وقذفت بقطعة القماش بعيداً، ثم استدارت مرة ثانية لتحدق بتوسل إلى الهاتف. أرجو ان ترن، التمست بصمت الا انه ما زال لا يجدي نفعاً موضوعاً هناك صامتاً.

اختلست سالي النظر الى ساعتها. ينبغي عليها ان تذهب لترتاح، ليس هناك اصعب من الانتظار. فهي منهكة بكل ما في الكلمة من معنى. كما انه يوجد هاتف قرب سريرها، وستسمعه لو رن.

بدأت تفك ازرار رداء العمل وهي تتنهد. ما هذا اليوم؟ إنه من أسوأ الأيام التي بامكانها تذكرها. فليس فقط انها أخبرت بكل انواع الاكاذيب عن كلايف واتهامه بجرائم لم يقترفها ابداً، فقد تبين لها أيضاً بوضوح ان هناك اثنتين تجولان في لندن تلوثان اسمها!

تجمدت فجأة عند تلك الفكرة. لِمَ لم يتهيأ لها ذلك عاجلاً؟ خطت عبر الغرفة وهي تنوح من الاضطراب، انتزعت دليل الهاتف بحثت فيه بسرعة، حبست انفاسها، واتصلت بجوش.

فكرة مفاجئة خطرت في بالها بينما جرس الهاتف يرن من دون أية اجابة. ربما جوش كان مع كارين. لهذا السبب لا يجيب على الهاتف.

كادت ان تضع السماعة جانباً.

لكن عند تلك اللحظة بالذات أجاب قائلاً: «أجل؟»

مرة ثانية كادت ان تضع السماعة عندما اتى صوته جهورياً.

لكن ما ان كرر بصوت اكثر حدة: «أجل؟ من المتكلم؟» ضغطت على نفسها لتجيب.

«هذه أنا، سالي. لدي التماس منك... أريد الذهاب إلى ريجينت بارك باسرع وقت ممكن. غداً، لو استطعنا.»

«هل هذا عرض؟»

اكتشفت انه كان يضحك. تساءلت اذا ما كانت كارين تضحك، أيضاً.

قبضت باحكام على سماعة الهاتف، تصارع لطرد هذه الأفكار، مجبرة نفسها على التركيز على ما تقوله: «انه مهم، هل تأخذني؟ ارجوك الا تقول لا.»

عم الصمت قليلاً ثم قال جوش: «تعالي الى شقتي غداً صباحاً وبامكاننا مناقشة كل شيء بشأن ذلك.»

بعدها، وقبل ان تقول أية كلمة، انقطع الاتصال.

وضعت السماعة جانباً، تحاول بجهد ان تشعر بالراحة، فقد بدا مستعداً للاهتمام بطلبها.

في الصباح كان جوش وسالي في فناء البيت الكبير، يشربان القهوة تحت اشعة الشمس.

هذا الصباح لم تصطدم بكارين وهذا ما جعلها اكثر

ارتياحاً. الا انها وصلت متأخرة قليلاً عن البارحة. فكارين لديها الكثير من الوقت للخروج.

وضغطت على نفسها للتركيز على ما أتت من اجل اخباره به.

قالت وهي تجلس في مقعدها: «لدي فكرة مفاجئة. ذلك الرجل في محل التحف في ريجينت بارك... اعرف بأنك تعتقد بأن التي قابلته كان أنا. لكن هذا لم يحصل. وقد بدا لي افضل طريقة لأثبت ذلك هي ان اذهب إلى هناك وأقابله وجهاً لوجه.»

تحقق خوفها فقد هز جوش رأسه قائلاً: «لا اعتقد ان ذلك ضرورياً. فالرجل واثق تماماً انك كنت انت.»

«لكنه مخطىء! لست أنا! ينبغي ان يكون أحداً يشبهني!»

«أوه، واحدة تشبهك، حسناً.» كان صوته ساخراً: «الطول نفسه، شعر اشقر، عينان خضراوان أو زرقاوان...»

قاطعت سالي كلامه بانتصار: «ليس لدي عينان زرقاوان او خضراوان، عيناي خضراوان. خضراوان بتحديد تام!»

«حسناً، لم يكن واثقاً بشأن العينين... ما عدا انهما إما زرقاوان او خضراوان. الا انه كان جازماً بشأن الباقي. لقد تركت انطباعاً تاماً.»

حدقت مباشرة في ابتسامته: «يبدو انني فعلت. ما هو جدير بالملاحظة على الارجح، اعتباري لم اذهب الى هناك ابداً!»

«هكذا تقولين.»

«أقول ذلك لأنني لست أنا!» هزت رأسها بعدم صبر: «هذا الوصف الذي اعطيتني اياه... هناك عشرات الآلاف من الفتيات لهن هذا الوصف!»

لزيادة دهشتها، اومأ: «موافق.»

«إذاً، انت ترى، ليس من الضروري ان اكون أنا! من الواضح تماماً انه مجرد شخص يشبهني!»

أومأ مجدداً، فشعرت بضعف قلبها في داخلها، هل هي فعلاً اقنعته بأنه من الممكن ان يكون مخطئاً؟

لكن بعد ذلك اومأ وهو يقول: «لكن اخبريني امراً واحداً... هل هناك عشرات الآلاف من الفتيات في ذلك الوصف اللواتي يحملن ايضاً اسم سالي وودستوك؟»

وبينما اختلست النظر باتجاهه أضاف قائلاً: «لا، باستطاعتي رؤية موافقتك معي بأنه في مجال التطابق فان هذا بحاجة إلى بعض الجهد كي يصدق.»

أجل، انه بحاجة. ذهلت سالي: «اتعني انه ذكر اسمي؟» ان هذا على وشك ان يصبح مروعاً!

أشار جوش: «ليس ذلك وحسب، بل يعرف أيضاً من أية قرية أنت. بوضوح تام انت مجرد ثرثارة. لقد اخبرته كل شيء عن شقتك ومتجرك.» هز رأسه: «غبية.» ثم نصحها قائلاً: «إن صممت على العمل في حقل الجريمة، عليك ان تتعلمي الكتمان اكثر. انني مندهش كيف أن صديقك لم يعطك بعض التعليمات المهمة.»

تقطع صوته قليلاً كالمعتاد عند ذكر كلايف، لكن بالرغم من ذلك، شعرت انه في حالة مزاجية اهدأ اليوم. فقد بدا اقل عزماً على التحدي. لربما قد قضى ليلة مريحة.

الا انها سرعان ما طردت هذه الفكرة بعيداً فلديها امور أهم بكثير لتفكر بشأنها!

نظرت اليه بجدية، ثم اجابت مدافعة: «خذني الى المتجر،

دعني اقابل صاحب المتجر، وسرعان ما تكتشف كم أنت مخطىء. أرجوك، ألا تريد الوصول للحقيقة؟»

«عرفت الحقيقة توا.» كان ثابتاً. لكن قبل ان تحتج سالي مجدداً سألها، وعيناه السوداوان تراقبانها: «اذاً أين هو ما اسمه..: شريكك وصديقك؟ هل يعتني بالمتجر؟»

رمقها بنظرة قاطعة عندما قال جملته الأخيرة وارتشف جرعة من قهوته. لم يؤمن لحظة واحدة ان كلايف قد عاد. ولسوء الحظ فقد كان على حق. مع انه ليس للاسباب التي اقترحها. رمقته بثبات: «كلايف لم يعد.»

تظاهر بالتعجب: «ألم يعد؟ كم هذا غريب. اتساءل ما الذي يشغله؟»

«لا أظن انه مشغول بأي شيء. على الأقل، ليس اي شيء اجرامي. حتماً هو تعرض إلى تأخر لا يمكن تجنبه.»

«تأخر لا يمكن تجنبه. بلى، يبدو الأمر كذلك.» رمقها بنظرة ساخرة ثم أضاف: «كم هو عديم التفكير.»

حدقت اليه. فقد كان مستمتعاً بشكل هائل. مع ان مرحه ازعجها، إلا أنه قد طمأنها أيضاً. البارحة، لم يكن يمازحها بشأن ذلك. كان يرسل سهاماً تطن امام اذنها! اليوم يمكن ان يكن اكثر ليونة.

قالت له: «متأكدة بأنه لديه تفسير جيد. هذه الأمور تحدث دائماً. يطرأ تأخير على الجميع...»

«لا يمكن تجنبها.»

«أجل، لا يمكن تجنبها.»

وبينما هو يبتسم، مد يده لتتغلغل في شعره، واستجابة لدهشتها التامة ورعبها، وهي تحدق الى شعره المجعد،

سمعت سالي نفسها تقول: «كيف حال كارين؟ لم أرها هذا الصباح.»

نظر اليها نظرة غريبة ثم اجاب: «من الطبيعي ان تشعر كارين بأنها مخدوعة ومرتبكة تماماً. فهي تريد المال الذي من حقها.» توقف لبرهة: «وأنا عازم على اعادة المال إليها.»

كان هناك اهتماماً مؤاسياً في صوته. شعرت سالي بأنها ترتد قليلاً، وبحالة من التظاهر بالشجاعة قالت له «كم انت قريب للنجدة سيد غالا هاد!»

لم يجد جوش ذلك مضحكاً: «إذاً، لديك الوقاحة لتسخري من ذلك؟ أنا آسف، فأنا أجد ذلك مثيراً للشفقة.»

«سيكون ذلك مثيراً للشفقة لو كنت أنا الطرف المذنب!»

تحطمت للطريقة التي دافع فيها عن كارين. يبدو وكأنه يهتم لأمرها فعلاً.

إذا ماذا؟ قالت لنفسها. لِمَ أهتم؟ أجبرت نفسها على النظر اليه وسألته: «لهذا السبب علينا الذهاب الى لندن! لهذا السبب نريد رؤية صاحب المتجر. انه الوحيد الذي بامكانه اخبارك بأنني لست أنا!»

نظر اليها مطولاً، وكانت تعابير وجهه غير مفهومة احتجت: «ارجوك! ماذا ستخسر؟»

«شيء واحد، الوقت. وأنا أكره اضاعة الوقت.»

«لكن هذا ليس مشكلة، ان كان ذلك ما تقلق بشأنه بامكاننا الذهاب في يوم! نصف يوم! نصف ساعة! ليس على ذلك الشخص في المتجر سوى النظر اليّ ليعرف بأنني لست أنا من قابلها من قبل!»

بدا مهتماً فيما كانت. عيناه ترمقانها. ثم قال بصوت هادىء: «لكن هناك ما هو اكثر من ذلك.»

«أكثر؟ كيف؟ ماذا تعني اكثر؟»

«صاحب المتجر لم يرك فقط، حتى انه لم يتحدث اليك وحسب. بل لديه توقيعك؟»

«ماذا؟ ماذا تعني لديه توقيعي؟»

«بأحرف مختلفة وموافقات وأشياء. أظهرها لي وكان امضاؤك بالتحديد.»

«لا يمكنه أخذ توقيعي.» قالت ذلك بصوت ضعيف. شعرت فجأة وكأنها تبكي.

«إذاً، ترين، الأدلة ضدك ساحقة. استمرارك بالانكار هو بلا جدوى. أنا لم أتهمك ابداً منذ البداية لو لم أكن واثقاً.»

استدار لينظر اليها: «وهكذا أنا آسف بأن اقول لك أن لا داعي لرحلة إلى لندن. كما قلت، اكره اضاعة الوقت.»

شعرت بصدمة قوية. فقدت فجأة القدرة على النطق، حدقت فاقدة الحس نحوه بينما هو يبتعد.

كان يقول: «إذاً لقد عدنا من حيث بدأنا، عقد ايجار المتجر لن اجدده. سأصفي لك أعمالك.»

«إلى الجحيم العمل! الى الجحيم المتجر!»

فقدت السيطرة على نفسها، وثبت فجأة على قدميها، دفعت طاولة الخيزران بتهور في الفناء. كانت هناك اصوات تحطيم في الوقت الذي وقعت فيه فناجين القهوة محطمة الى قطع صغيرة على الأرض.

الا انها كانت غير واعية: «لا اهتم بشأن المتجر! ما آبه له

هو سمعتي! لا أقدر على ترك ذلك. الناس تعتقد انني لصة! لن ادع ذلك مستمراً! اطلب الحقيقة لأبرىء اسمي!»

كان جوش واقفاً هناك بصمت، نظرته مثبتة عليها بتحجر. فكرت وهي ترتعش بأنه على وشك ان يقطعها ارباً الآن.

لكنها لم تهتم. لم تندم بشأن ثورتها، ما ندمت من اجله فقط هو انها لم تفعل ذلك من قبل.

قالت له بتحدٍ: «لذلك اطلب ان تأخذني إلى لندن فوراً!»

عم الصمت للحظة من جديد بينما استمر بمراقبتها، اعتقدت بكآبة انها قد أفسدت الأمور. فلن يوافق ابداً الآن.

وبينما هو يستدير لمتابعة خروجه من الفناء، شعرت وكأن قلبها قد هوى من مكانه. خسرت كل شيء. سوف تعتبر سارقة للأبد.

توقف بعد ذلك فجأة واستدار لينظر اليها ومع ان تعبيره كان متعذراً فهمه، فكلماته كانت واضحة تماماً.

«اذهبي للبيت وأعدي حقيبة لليلة واحدة. سأمر عليك بعد الغداء. سنذهب الى لندن.»

عادت إلى شقتها الصغيرة، وضعت بعض الأغراض في حقيبة. بالكاد كانت تنتبه إلى ما تضعه، كل ما انتبهت له هو ان قلبها كان يغني في داخلها، باطمئنان وفرح واثارة لا يمكن السيطرة عليها. فبرغم ذلك قد وافق! ستكون قادرة على اثبات براءتها!

لا زالت تصدق بصعوبة ان هذا فعلاً ما حدث، قفزت داخل الفيراري الحمراء. قريباً سينتهي هذا الكابوس، أخيراً لديها الفرصة لتبرئة اسمها!

لكن هناك فكرة أخرى تزعجها. كانت ذاهبة إلى الشقة في ريجينت بارك حيث تبقى كارين. ولكنها شعرت رغم ذلك بالانتصار.

لذلك لم تهتم حتى ولو قليلاً فقط، فانها هذا المساء سوف تنهي الموضوع مع كارين - برغم ذلك كان من المضحك ان تفكر بانهاء المواضيع، بأية حال! الحقيقة هي انها كانت تشعر بالدفء في كل مرة كانت تمعن فيها النظر الى حيث هي متوجهة.

كلما اقتربت اكثر، كلما زاد شعورها بالدفء.

ما ان لمحت بنظرة خاطفة منظر الأشجار الخضراء لريجينت بارك، حتى توردت تماماً.

الفصل السادس

بعد عدة دقائق توقفت السيارة الحمراء أمام احدى الشقق الفخمة التي تطل على ريجينت. عندها فكرت سالي أن هذه هي الحياة.

اندهشت وسُرَّت بالثراء الذي رحب بها، تبعت جوش عبر الرواق المعلق فيه ثريات، وخطت نحو المصعد الفسيح شقة جوش كانت في الطابق الأعلى. شقة فوق سطح المبنى... ماذا أيضاً؟ ما إن دخلا الشقة بعد لحظة حتى فغرت فاها.

«هذا مدهش. ليس لدي فكرة بأنك تعيش هكذا!» لم تكن قادرة على ايقاف الاطراء العفوي. نظرت حولها بإعجاب «هذا رائع بالفعل.»

«هل اعجبك؟» لم يكن في سؤاله أي تواضع زائف.

رأت ابتسامته وضحكت: «ما هو الغير جدير بالاعجاب؟»

تبعته إلى قاعة الاستقبال ذات الاثاث الفخم... مزج القديم والحديث بإطار من المهارة والذكاء... وخطت نحو النافذة المطلة على المنتزه. ثم استدارت نحوه وابتسمت له من فوق كتفها: «لا أمانع في إخبارك بأنني تأثرت كثيراً.»

كان واقفاً يراقبها: «أنا سعيد بإطرائك. فكثيراً ما اخبرتك بأن ذوقك يعجبني.»

لم تستطع مقاومة ابتسامتها: «هذا لأنه يتطابق مع ذوقك فكثيراً ما اخبرتك ذلك.»

ابتسم مجدداً: «بلى، أنت على حق، يبدو اننا بالفعل قد ذكرنا ذلك كثيراً في أحاديثنا السابقة. هذا لأننا امضينا سابقاً فترة طويلة معاً.»

في الوقت الذي تلاقت أعينهما، شعرت سالي بقلبها يثب هلعاً. فكرت. إنني عرفته أكثر مما أعرف معظم الناس في حياتي. انه جزء من حياتي، لا سبيل للخلاص منه.

هذه الفكرة جعلت ابتسامتها ممزوجة بألم. نظرت في عيني جوش ثم اقترحت قائلة: «ربما، قدر لنا أن نكون مصدر قلق ومتاعب لبعضنا.»

قالت ذلك من دون ضغينة. أومأ جوش: «ربما.» استمر ينظر في عينيها للحظة. خطا بعدها نحو الجرس المعلق على الحائط خلفه ثم قال لها وهو يضغط عليه: «اقترح أن نشرب القهوة قبل أن نفعل أي شيء آخر.»

كم كانت رائعة كلماته تلك، ومراعية جداً، وكأنه يكره افساد هذا المزاج بينهما. لكن هذا لم يغير شيئاً، فقد شعرت بسهم مفاجيء من القلق. ان ما أشار إليه عندما قال: «أي شيء آخر.» هو زيارة متجر التحف الذي نجحت أخيراً في التكلم معه بخصوصه.

نبهت نفسها بسرعة، ليس هناك سبب كي اشعر بالقلق. كل ما سيحصل الآن هو أن براءتها ستظهر.

بعد مرور لحظة، ظهر رجل متوسط العمر: «أأنت قرعت الجرس يا سيدي؟» كان على سالي اخفاء ابتسامتها في الوقت الذي كان جوش يخاطب الرجل. كان واضحاً أن هذا الرجل هو كبير خدمه... وبمقدوره ألاّ يبدو كذلك لو حاول!

«نود أن نشرب القهوة يا روبرت من فضلك.» اختلس

جوش النظر إليها ثم أضاف: «بالطبع الا إذا كنت تفضلين الشاي؟»

«لا، افضل القهوة.» أشارت بموافقتها. ثم خطت نحو إحدى الكراسي ذات الغطاء الذهبي المطرز قرب النافذة وجلست عليها.

كان شيئاً عميقاً ولطيفاً أنها غالباً ما تتوارى عن الانظار! غالباً ما تمنت أن لا تكون كذلك.

استدارت قليلاً اثناء انسحاب خادمه، واختلست النظر إلى جوش.

«إذاً، أين هو ذلك المتجر؟» غامرت بالنطق بصعوبة كي تتخلص من الحيرة المكبوتة: «هل هو قريب من هنا؟ هل سنستغرق كثيراً من الوقت للوصول إلى هناك؟»

مست عيناه نظرة داكنة قاتمة للحظة، جعلت سالي تندم على تقديمها اقتراحاً لمناقشة الموضوع. خاصة في تلك اللحظة بالذات.

هز كتفيه فجأة لا مبالياً وابتسم قائلاً: «انها عشر دقائق سيراً وعشرون دقيقة في السيارة. أنا آسف، ازدحام السير في لندن خانق.»

ابتسمت مجدداً، شاعرة بالارتياح لحسن الدعابة الذي أظهرها. جلست بارتياح اكبر في كرسيها وبدأت تنظر في انحاء الغرفة بسعادة.

قالت له: «لديك مجموعة رائعة من الرسومات.» انه الشيء الوحيد الذي جذب انتباهها عندما خطت في الغرفة: «هل ورثتهم عن والديك؟»

جلس على إحدى الكراسي بجانبها.

قال لها بصوت هادىء: «لم أرث شيئاً عن والداي، لا شيء سوى الديون.»

تذكرت عندها وقد اضطربت كثيراً بسبب الارتباك. لم تعرف ابداً التفاصيل... ليس من شأنها... الا أنها تذكرت ما أخبرتها والدتها به، عندما توفي والدا جوش منذ خمس سنوات، فقد قتلا معاً في حادث زورق بخاري سريع، وقد تركا خلفهما ميراثاً معقداً. لم يكونا ثريين كما كانا يبدوان. في الحقيقة، كانا غارقين حتى اذنيهما في الديون.

هزت رأسها: «أنا آسفة. هذا عملاً متهوراً وأحمق.»

بدا قلقاً. هز كتفيه بلطف وهو يحل ازرار كميه ويرفع اكمام قميصه: «ليس هناك خطب. هذا لا يزعجني.» ابتسم ابتسامة ساخرة وتابع: «لقد حدث ذلك كله منذ وقت بعيد. لقد تجاوزت الصدمة.»

احست بذلك الندم الذي رأته في عينيه كلما تكلم عن والديه.

شعرت أنها تأثرت بذلك إلى درجة أن ذلك فاجأها قليلاً. ابتسمت له، وهي تشعر بالحرج: «أجل، اعتقد ذلك.»

«إضافة إلى ذلك، لست مثلك، فأنا بالكاد اعرف والداي، بالطبع، احببتهما، لكن طوال حياتي كانا كالغريبين. دائماً كانا بعيدين في مكان ما. نادراً ما اراهما.»

بينما هو يتكلم، التقط جوش إحدى الصور ذات الإطار الفضي التي كانت موضوعة خلفها على الطاولة الصغيرة بجانبه. بلا شك هي صورة والديه، عرفت ذلك عندما اختلس النظر إليها ثم وضعها جانباً مرة ثانية.

قال مبتسماً: «لا، العمة ميمي كانت عائلتي الحقيقية. كانت بمثابة والدة بالنسبة لي.»

ضاقت عيناه عندما قال ذلك فعرفت بما كان يفكر. كانت افكاره تعكس كم يحتقرها بعمق لأنها خانت العمة ميمي مرتين، المرأة التي أحبها كثيراً. أول مرة بقصة العقد والآن مرة ثانية من خلال المتجر. العمة ميمي قد أجرتها المتجر بحسن نية، وقد استخدمته كبداية لجرائمها.

فتحت فمها لتتكلم. اتضح فجأة أنه عرف الحقيقة. وليس فقط الحقيقة بشأن الفخارة المزيفة... التي تحاول تبرئة نفسها منها... لكن أيضاً الحقيقة بشأن العقد.

لكن قبل أن تقوى على الكلام فاجأها بقوله: «اتعرفين، لطالما حسدتك.»

«حسدتني؟» يا لهذه الشخصية المميزة!

«أجل، حسدتك. صدقيني! لديك الكثير مما تحسدين عليه.» كان تعبيره صادقاً الا أنه خالٍ من الرثاء على الذات. لم يكن جوش ابداً فريسة الشعور بالرثاء.

«انظري إلى ما لديك.» تابع وهو يراقبها: «لديك كل الأشياء المهمة جداً... عائلة رائعة قريبة ووالدان محبان، موجودان دائماً تحت طلبك متى احتجت لهما.»

لم تقدر على انكار ذلك، لقد كان منعماً عليها وهي تدرك ذلك. قطبت، بهدوء، مبتعدة عن الارتباك اكثر من أي شيء آخر.

«لكنك حصلت... على اشياء أخرى كثيرة.»

«العاب واغراض ثمينة، هل هذا ما تقصدين؟»

أومأت: «حصلت على دراجة سريعة وقد كانت مصدر

حسد لكل الأطفال الآخرين. لم ير أحد مثلها في القرية!»

«أجل، أتذكر تلك الدراجة. اتذكر انني قدتها مرة فوق الجسر وجرحت ذراعي. والداي لم يعلما بذلك الحادث. لقد غضبا مني لتحطيم الدراجة!»

ضحك عندما قال ذلك، مع أن سالي ضحكت أيضاً الا أنها شعرت بانفجار من الألم والغضب لأجله. كم هو مروع أن يكون لديك والدان يهتمان بشأن دراجة اكثر من اهتمامهما بولدهما المجروح الذراع.

«وهكذا، ترين... لطالما اعتبرتك أحد المحظوظين الذين اعرفهم في العالم.»

«اعتقد بأنني كذلك.»

فكر مجدداً بما ينبغي أن يفكر فيه... كيف انقلبت إلى نحو سيء على الرغم من كل حسناتها... ومرة ثانية شعرت بحاجة ملحة لاخباره الحقيقة بشأن العقد. لأجل ذلك، شعرت أن الصراحة اساس كل شيء.

لكن ما أن فتحت فمها لتخبره، اسكتها بقوله: «اندهش لكون شخص مثلك له هذه الجذور الاجتماعية يتورط مع شخص مثل كلايف.»

«كلايف؟»

عبست، فقد شعرت بصدمة غريبة لهذه المقدمة المفاجئة بشأن كلايف في حوارهما. شعرت بنفور تام. إنه ليس له علاقة في هذا النقاش، انه خاص بشأنها وشأن جوش.

ولربما كان هذا هو الاثم الذي شعرت به عند ردة فعلها، بالإضافة إلى النظرة القاسية المفاجئة التي ظهرت في

عينيه، مما جعلها تقول له بحدة: «كلايف ليس من شأنك البتة!»

كان صوته قاسياً: «شكراً لأجل ذلك. كلايف ليس الشخص الذي آمل أن يكون من شأني.» رمقها بنظرة باردة كمكعبات «ولا أحد غيره، إن كان ذلك يسبب أي ازعاج.»

ابتسم قائلاً: «ذوقك وذوقي متطابقان في التفاهات، الأمور الغير مهمة كالزخرفة. لكن للأسف هما بعيدان اميال في الأمور المهمة... مثل من نختار أو لا نختار، من اصدقائنا.»

فجأة، مع ذلك التصريح القاسي، محى كل الدفء والألفة بينهما. عرفت ان ذلك لا يعني شيئاً بالنسبة له. فالحديث الدافىء الذي دار بينهما، كان مجرد وسيلة لتمضية الوقت كرهته لما سبب لها من الألم الشديد.

شدت قبضتي كفيها نحوه بازدراء: «أوه، لكنك مخطىء، أنا اهتم فعلاً في اختيار اصدقائي. لهذا السبب لا داعي لأن أخاف ابداً من أنني ربما اختارك!»

مرة ثانية، لم تعد تهتم، إن كان يعلم بشأن العقد... أم لا. فقد كان متعجرفاً وسيئاً، الشيء الوحيد الذي اهتمت له هو تبرئة اسمها.

في تلك اللحظة فتح الباب وظهر روبرت دافعاً امامه عربة فضية.

اوما قائلاً: «قهوتك يا سيدي.»

«دعينا نشرب القهوة بسرعة ونذهب لعملنا، أنا شخصياً لا استطيع الانتظار لرؤية ما يطرأ.»

كانت موافقة تماماً. فهي فقط تعرف ما سيطرأ، سوف تبرىء.

إذاً لم تساءلت، هل تأثرت جداً عندما جلست في السيارة الحمراء وراقبت جوش يدير المفتاح لتشغيل السيارة جاعلاً المحرك يهدر للانطلاق؟ هناك نتيجة واحدة لهذه العجلة إلى متجر التحف، وقد كان ذلك داعياً للبهجة، ليس القلق.

كل شيء بشأن جوش قد اضطرها فجأة للانفعال. أول دقيقة يبتسم لها، وفي الدقيقة التالية يثور غاضباً... مع ذلك بقيت تقول لنفسها بأن هذا ليس شيئاً جديداً، وأنه ينبغي عليها أن تتعود على ذلك منذ الآن، وجدت أنه من الصعوبة المتزايدة التغلب على ذلك.

لقد تعلمت، أنه لا زال لديه القوة ليدمرها. لا زالت لديه القوة ليدمر نفسها. ويبدو أنه لا يوجد شيء يمكنها أن تفعله لتحتمي فيه.

لكن وبجهد، بقيت ممسكة بزمام الأمور على الأقل ظاهرياً.

استدارت نحوه وهو يخفف من سرعة السيارة: «لقد فهمت بأنه كان يجب أن نذهب سيراً. على الرغم من ذلك، فأنت اخبرتني بأنها تستغرق ضعف الوقت في السيارة... واعتقد بأنك تكره تبذير وقتك النفيس.»

تجاهل نبرة السخرية في صوتها ثم قال لها: «لا تقلقي، ان يبذر. سأستمتع بكل دقيقة عندما أجلس واراقبك تحاولين بيأس تلفيق قصة ما تصون اسمك عندما نصل إلى المتجر. أو هل تفكرين بواحدة جاهزة؟»

«لست بحاجة إلى تلفيق قصة.»

حاولت استمرار النظر في عينيه، الا أن تلك النظرة

القاسية في عينيه جعلتها تشيح بنظرها بعيداً. مع أنها تعلم بأن ما قالته كان صحيحاً، شعرت بالاضطراب في داخلها يتزايد فجأة فهو يبدو واثقاً جداً من أنه سيوقعها في الشرك. هل من الممكن أن يعرف... أمراً تجهله؟

المسافة إلى الجانب الآخر من المنتزه اخذت في الحقيقة الوقت نفسه الذي تنبأ به جوش. مما بدا بأنه لا يوجد أي وقت على الاطلاق لخوفها، كانا يقتربان أمام متجر مطلي بطلاء أزرق وقد علق فوق الباب لوحة كتب عليها: «بريني للفنون والحرف.»

استدار لينظر إليها: «هذا هو. هل أنت جاهزة؟»

امسكت فجأة بقبضة الباب: «بالطبع أنا جاهزة، لم أكن ابداً في حياتي جاهزة لأي شيء اكثر.» لكن قلبها كان يرتجف في داخلها، مع أنها لا يجب أن تكون، كذلك.

بعد لحظة كانا يتوجهان عبر الرصيف نحو المحل. رن صوت جرس ـ مؤثر قليلاً في اذني سالي ـ عندها دفع جوش الباب ليفتحه ثم دعاها للدخول خلفه. فكرت سالي، ها قد حانت لحظة الحقيقة. رغبت فقط أن تشعر بالثقة اكثر قليلاً.

كانت امرأة جالسة خلف المنضدة. اقترب منها مبتسماً: «آنسة جاميسون، أنا جوش كينغسلي. لربما تذكرينني؟ جئت لأرى رئيسك ان كان هنا.»

من الطريقة التي نهضت بها الآنسة جاميسون من مقعدها مشرقة، كان واضحاً أنها تذكرت جوش فعلاً. من الواضح أنه قد قام بتأثيره العادي المذهل.

مدت يداً مثقلة بالخواتم نحوه: «سيد كينغسلي! كم هو

رائع أن اراك! لكن السيد آيتكن ليس هنا، أنا آسفة. فقد ذهب إلى بات اليوم.»

شعرت سالي رغم توترها بخيبة أمل. هذا كان احتمالاً لم تأخذه بعين الاعتبار.

تنهدت في داخلها، شعرت انه خاب أمله ايضاً. كان يقول للآنسة جاميسون: «متى تتوقعين عودته؟»

«سيعود الليلة متأخراً... وسيكون هنا في المتجر غداً.» ابتسمت الآنسة جاميسون وتابعت: «لربما بإمكاني مساعدتك؟»

همّ جوش بالانصراف، الا أنه توقف فجأة، مقطباً. ثم ابتسم: «من يعرف؟ ربما تستطيعين. انها بشأن هذه البومات الفخارية... والفتاة التي باعتها للسيد آيتكن...» اشار نحو سالي: «هل هذه هي؟»

«هذه الفتاة هنا؟»

في الوقت الذي تقدمت فيه الآنسة جاميسون للتحقق منها، شعرت فجأة كأنها في قفص الاتهام، لم يكن شعوراً تهتم له باستخفاف.

حدقت بها الآنسة جاميسون وقالت: «أنا في الحقيقة لم اتحدث إليها ابداً. أنا رأيتها مع السيد آيتكن في مكتبه فقط. الا أنني اعتقد بأنني القيت عليها نظرة كاملة.»

حدقت أكثر قليلاً، ثم استدارت نحوه وقالت: «أجل، تبدو وكأنها هي.»

«ماذا؟ ماذا تقولين؟ لم أكن أنا!» خطت برعب لتواجه المرأة: «كيف يمكنك أن تقولي ذلك؟ لم أكن أنا!»

ابتعدت الآنسة جاميسون، شاحبة قليلاً. الا أن تنبيهها لم

يفعل شيئاً يجعلها تغير رأيها، وقد بدت في الواقع واثقة اكثر من أي وقت مضى بينما هي تخاطبه مجدداً.

«أجل، أود القول انها هي بالتحديد.»

«هذا هراء!» خطت سالي خطوة أخرى باتجاهها، الا أن جوش القى يداً كابحة على ذراعها.

قال لها: «شكراً لك، آنسة جاميسون، لقد كنت متعاونة جداً.» بعدئذٍ وعندما استمرت سالي تدمدم بارتباك، أضاف: «اخبري السيد آيتكن بأننا سنحضر غداً صباحاً... هكذا يستطيع اثبات ما نريد تماماً.»

بعدئذٍ قالت السيدة جاميسون: «اتشرف لرؤيتك.»

«عمت مساء.» اشار بأدب، دافعاً سالي إلى الخارج.

«هذا رهيب! كيف امكنها قول ذلك؟ لم ترني في حياتها من قبل قط!» كانت تقشعر متأثرة في الوقت الذي كان جوش يوجهها نحو السيارة. استدارت لتواجهه: «هل أنت ادعيت ذلك أم ماذا؟»

حدق إلى وجهها الشاحب وقال: «لست بحاجة لادعاء ذلك. المرأة كانت تتكلم الحقيقة بوضوح تام.»

«لقد تكلمت بتفاهات!» غضبها وعدم تصديقها وحنقها واستياءها، كل ذلك بدأ يأخذها فجأة في كل الاتجاهات. شعرت وكأنها تبكي: «هذه المرأة بلهاء! واضح انها تعاني من الهذيان!»

«انها لا تبدو كالبلهاء بالنسبة لي، بل تبدو كشخص سليم تماماً.» اختلس جوش النظر اليها: «والآن اصعدي إلى السيارة.»

حاولت سالي ان تفرّ منه: «لا، لن اصعد إلى السيارة! أنت

ادعيت هذا الأمر كله! انك تحاول ان توقع بي! لطالما كرهتني. ان هذا انتقام رديء!»

تقدم جوش نحوها ثم حذرها: «لا تقومي بثورة غضب، فقط افعلي ما قلت لك واصعدي إلى السيارة.»

«لا، لن افعل ما طلبت مني، ولن اصعد إلى السيارة.» كانت سالي غافلة عن المارة الذين بدأوا ينظرون باتجاهها: «سأرحل من هنا! لقد تعبت من الاعيبك هذه! سأعود إلى القرية وليس باستطاعتك منعي!»

لكن قوتها لا تضاهي قوته، حتى في هذه الحالة. بهدوء، ولكن بقسوة، تابع جوش توجيهها نحو السيارة.

«لا، لن اذهب!»

كانت يده على قبضة الباب: «كفي عن ذلك، اصعدي إلى السيارة فقط واهدئي.»

«لا، لن أهدأ! ولن اصعد إلى السيارة!»

وفجأة، بدأت تهاجمه بضراوة.

سألته: «لِمَ فعلت ذلك بي؟ لم لا تقدر على تركي وشأني؟ ما الذي فعلته لك؟ لِمَ تكرهني؟ لِمَ؟ لِمَ؟ لِمَ؟»

بعدئذٍ تنفست بعمق كل قوتها قد تلاشت واستنزفت، وقفت هناك وتركت دموعها تنهمر على وجنتيها بيأس. فجأة تمنت لو أنها فقط تستطيع الاختفاء عن وجه الأرض.

قال جوش بهدوء: «اعتقد بأنه ينبغي عليك الصعود إلى السيارة الآن.»

كانت يده على ذراعها... يد مشجعة اكثر من مسيطرة. بعدها مدّ يده، مسح دموعها بابهامه بلطف شديد. ثم قال بهدوء: «لنذهب إلى البيت، اصعدي إلى السيارة.»

لم يعد لديها مزيداً من المقاومة. جلست في مقعدها ثم اغلق الباب ومشى جوش ليصعد خلف عجلة القيادة بقربها.

في طريق العودة إلى الشقة لم يتفوها بأية كلمة. حدقت بشقاء خارج نافذة السيارة. ماذا هناك لتقوله؟

عند عودتهما إلى الشقة قررت الانسحاب من امامه.

«اود الاستحمام، إن لم يكن لديك مانع.» قالت ذلك، من دون أن تنظر إليه، في اللحظة التي دخلا بها إلى الشقة.

«سأنادي روبرت ليريك غرفتك.» لم يكن لدى جوش أي اعتراضات. على الارجح كان التخلص منها لفترة راحة له.

بعد لحظة، ظهر روبرت، اوصلها إلى غرفة مشرقة كبيرة، مزخرفة بنسيج حريري أصفر وتطل على المنتزه.

«الحمام هنا، آنستي.» فتح الباب ليظهر حمام فخم ذو بلاط عليه زهرة الحوذان: «هل هناك شيء آخر تحتاجينه؟»

«لا، شكراً لك.» هزت رأسها وابتسمت له، استجابة لنبرة الاهتمام الغير زائفة في صوته. ضحكت له من قبل... ولو أن ذلك بغير قسوة... طمأنته قائلة: «سأكون بخير. حماماً دافئاً هو كل ما احتاج.»

بالطبع لم يكن هذا كل ما تحتاج اليه، لقد ايقنت ذلك. ما احتاجته وبيأس، هو انتهاء هذا الكابوس.

حدقت في البلاط ذو زهرة الحوذان. هل كانت ضحية مؤامرة؟ هل ادعى جوش كل ذلك، كما اتهمته؟

أخذ عقلها يدور في دوامة. لم يكن ذلك مفهوماً. لم يضع نفسه في مثل هذه المتاعب؟ هل هو فعلاً يكرهها إلى هذا الحد؟

ابتلعت ريقها بصعوبة ثم اغمضت عينيها، كان هذا امراً من الصعب احتماله.

ثم فكرت بشأن كلايف. ألم يعد إلى القرية بعد؟ يجب أن تتصل به، قررت أن تفعل ذلك حالما تنتهي من حمامها. ربما سيلقي الضوء على كل هذا الغموض.

اتصلت إلى شقة كلايف بعد حوالى نصف ساعة من الهاتف الموضوع على الطاولة بجانب سريرها ولم يكن هناك أي رد. وشيرين ليس لديها أي اخبار عنه عندما اتصلت بها إلى المتجر. فقد بدا وكأنه اختفى. كان امراً غريباً بالفعل.

حدقت بتساؤل نحو السقف. غداً، ان جرت الأمور بشكل جيد، ستقابل السيد آيتكن وهو بقليل من التوفيق، سيبرهن ذلك بتعاون أكثر من مساعدته.

الا أنها لا تستطيع أخذ ذلك بعين الاعتبار. لا تستطيع أخذ أي شيء في اعتبارها.

سمعت صوت قرع خفيف مفاجيء على الباب، بعد أن استلقت مدة نصف ساعة، مستغرقة في تفكيرها.

عرفت فوراً انه روبرت. فجوش عاجز عن الطرق على الباب بهذا الهدوء! احبت كثيراً هذه المقاطعة، لأن عقلها كان يزداد إرهاقاً، فتحت الباب، وهي تشعر بنفسها في دوامة.

بالتأكيد كان روبرت. ابتسم لها: «السيد كينغسلي يسأل ان كنت تحبين الانضمام إليه. انه في قاعة الاستقبال لديه بعض الزائرين الذين يجب أن تقابليهم.»

«زائرين؟» نظرت سالي بدهشة. لم يردها أن تقابل

زائريه؟ لقد اعتقدت بأنه سيكون مسروراً لو التزمت غرفتها.

خطرت فكرة في بالها. لربما هؤلاء الزائرين لديهم امراً بشأن البومات الفخارية.

أشارت لروبرت: «سأكون هناك بعد خمس دقائق.»

وبالفعل كانت هناك. شعرها الرطب مسرحاً، مرتدية سروالاً قطنياً وبلوزة بلون عينيها، خطت إلى غرفة الاستقبال برأس مرفوع، وانتابها شعور من التفاؤل.

الا أنها علمت فوراً بأنها اخطأت.

المرأتان كانتا هناك لا علاقة لهما بالبومات الفخارية. فمتجر بريني للفنون والحرف لا يخصهما بلا ريب، بل هما على نحو اكثر يعملان لحساب غوتشي أو شانيل!

شعرت وكأن قلبها يغرق في الوقت الذي خطت فيه إلى قاعة الاستقبال، تمنت لو أنها كانت أقل تحمساً لقبول الدعوة في الانضمام اليهم. لكن لا تراجع الآن. كان جوش يخطو نحوها ليقدمها لهما.

قال لهما: «هذه صديقة عزيزة لي. أنا وسالي عرفنا بعضنا منذ سنوات الطفولة.»

ذلك الجزء الأخير كان صحيحاً تماماً. الا أن «صديقة عزيزة.» كان مبالغاً فيه قليلاً! تعجبت كيف استطاع الاحتفاظ بهدوء وجهه. لكن جوش كان بارعاً في هذه الأمور. ودت أن تظهر له بأنها هي ايضاً قادرة على أن تكون لطيفة امامهما!

بعد لحظة صافحت المرأتين وجلست على احدى الكراسي ذات الغطاء المطرز. قالت وكأنها تعني ما تقول: «كم أنا سعيدة برؤيتكما.»

قالت جو... احدى النساء: «اعتقد انك رسامة، أي نوع من الرسم ترسمين؟»

ابتسمت وأجابت: «نوعاً من الحديث... لكن ليس تجريدياً. أحب رسم صور الوجوه. أنا حقاً احب رسم الاشخاص.»

اتفقت جو معها: «انه اروع موضوع في العالم رغم كل شيء، ما الذي يمكن أن يكون أكثر فتنة من رسم الاشخاص.»

«انها ايضاً بارعة جداً في ذلك.»

كان جوش يتكلم وهو ينظر اليها. يبتسم مرتبكاً بما يشبه الفخر. انه فعلاً ممثل بارع!

ابتسمت له سالي ثم قالت: «شكراً لك.» عندما حاولت، لم تكن ممثلة بارعة! بعدئذٍ استدارت إلى جو وسألتها: «وماذا تفعلين انت؟»

تفاجأت أن اللقاء اصبح ممتعاً جداً. اكتشفت أن جو وصديقتها ساني، كانتا فعلاً اثنتان رائعتين.

في غضون الساعة التي تلت، كان الحوار يتنقل بحيوية من الرسم إلى الستردل (نوع من المعجنات تشمل على الفاكهة.) وتطرقوا إلى مناقشة كل الأمور تقريباً بينهم!

كانت هناك لحظة واحدة في البدء وجدت سالي نفسها فيها تضيع الوقت، فليس لديها شيء لتفعله مع جو وساني.

دخل روبرت إلى الغرفة حاملاً إبريقاً من القهوة وما ان استدارت بسرعة لتبتسم له حدث أن وقعت عيناها على الصورة ذات الاطار الفضي التي رآها جوش باكراً.

فتحجر قلبها في صدرها. حدقت بدهشة ثم نظرت مجدداً لكن، لم تر الصورة التي كانت بالأمس.

لم تكن صورة والديه، كما اعتقدت سالي. كانت صورة لجوش والعمة ميمي أخذت في حديقة العمة ميمي... ومعهم بعيداً عن التركيز في الخلف، كانت سالي، بالتأكيد هو لم يلحظ وجودها في الصورة.

اختلست النظر مقطبة باتجاه جوش وقد تفاجأت بما لا يمكن تفسيره. في الوقت الذي رفع عينيه ونظر في عينيها وغمز، اشاحت نظرها بارتباك متوردة.

بعدئذٍ، وأخيراً، جو وساني كانتا تجمعان اشياءهما للمغادرة.

«آمل أن نلتقي مجدداً.» اومأت برأسها لكنها عرفت انهما لن تلتقيا ثانية ابداً. هذا التنكر سينتهي حالما تغادر الفتاتان.

خطت عائدة إلى غرفة الاستقبال بعد أن انتهى الوداع. ماذا الآن؟ كانت تتساءل في الوقت الذي خطا جوش داخلاً خلفها. كانت الساعة الخامسة فقط ولديهما الأمسية بكاملها لهدر وقتها.

«إذاً، كيف تشعرين الآن؟»

استدارت أثناء مخاطبته لها. كان واقفاً قرب الخزانة الصغيرة المصنوعة من خشب الجوز، يداه في جيبيه، لم تقو على تمالك نفسها... خفق قلبها بشدة عند رؤيته. بدا هناك شيئاً في عينيه بدا وكأنه يحاول الوصول إلى أعماقها.

قالت له وهي تختلس النظر بعيداً عنه، محاولة طرد هذا الشعور من داخلها: «أنا بخير. لِمَ تسأل؟»

«اعتقدت بأنه يجب أن تبتهجي بتمضية ساعة مع جو وساني. لقد حضرتا فجأة بينما كنت تستحمين. اعتقدت بأنهما ستفرجان عنك قليلاً.»

عندها تذكرت سالي، شعرت أن وجنتيها تتوردان. لقد نسيت كل شيء تماماً بشأن ثورتها باكراً.

ابتسمت ابتسامة صغيرة ثم وافقته: «اعتقد بأنهما فعلتا.»

خطى خطوة باتجاهها: «جيد. انا مسرور لسماع ذلك. أكره رؤيتك متوترة إلى هذا الحد. هل أنت اكيدة بأنك على ما يرام.»

«أجل،. شكراً، لقد استرديت هدوئي.» كان اهتمامه مضطرباً فسألت بإنزعاج ما الذي ايقظ اهتمامه. ليس مضطراً للتمثيل الآن، صديقتاه قد ذهبتا.

«انظري، دعيني اقترح شيئاً.» قال ذلك وهو يخطو نحوها. فجأة، اصبح يقف قريباً منها.

فكرت بأنه قريب جداً بينما هي تنظر إليه بصعوبة ثم سألته بصوت أجش قليلاً: «أي اقتراح؟»

اجابها: «بما أنه ينبغي علينا تمضية بقية الأمسية معاً وأنا حقاً لا أريد أن اراك مضطربة مرة ثانية، اقترح أن نعقد هدنة.»

تنفس بعمق وتابع: «دعينا لا نتكلم بشأن أي شيء حتى ما يتعلق بالبومات الفخارية. ماذا تقولين؟ هل تعتقدين بأنها فكرة جيدة؟»

انها بالفعل فكرة ممتازة. أومأت سالي، تراقبه. البومات الفخارية هي آخر أمر تريد التفكير بشأنه. فجأة، أصبح ما

يملأ عقلها هي الطريقة التي ينظر بها اليها، العينان السوداوان ذات الاهداب الطويلة مرة واحدة اصبحتا لطيفتين ورقيقتين. احبت ما سببتهما لها هاتين العينين الداكنتين.

ابتسمت قليلاً بارتباك ثم أجابت: «حسناً، نحن بالتحديد لا نريد قول كلمة بشأن البومات.»

«وعد؟»

«اعدك.»

«جيد. هكذا، هذا حاسم، إذاً.»

استمرت بالتحديق إليه، وقلبها يضطرب في داخلها.

الفصل السابع

لا بد أن ذلك حلماً. هل جوش يقبلها؟ بالتأكيد! لكن، هل هذا حلم أم حقيقة؟

توردت خجلاً، بما تفكر؟ لقد سمحت لنفسها أن تنجرف بعيداً.

ماذا دهاها؟ ماذا ستتوقع أيضاً؟ لقد كانت حمقاء!

بينما استمر يبتسم لها، شعرت برغبة تجاهه، فجأة، بيأس تام ضعفت امام القوة المذهلة للعواطف التي تشبثت بها.

كان شعوراً مألوفاً، أو على الأقل، قد حصل مرة، عندما لم تكن تعرف الأفضل، عندما كانت طفلة بريئة.

ارسلت تلك الفكرة تدفقاً من المقاومة في داخلها. لقد قذفت العواطف الطفولية الضعيفة في داخلها، ولكن الآن ليس لها أي مكان في قلبها.

كررت بقسوة أكبر وبإقناع أكثر قليلاً من المرة الأولى: «لا، أنا بالتحديد لا اعتقد بأنك يجب أن تحاول ذلك مرة ثانية.»

خطت مبتعدة عنه، متأملة أن يقتنع بهذه الخدعة: «في الحقيقة، لقد وجدت ذلك بغيضاً تماماً.»

«بغيضاً؟ لم أظن ذلك ابداً. في الحقيقة، أنا اقول العكس.»

كم هو على حق... لكن ما هذه الجرأة لديه ليقول ذلك!

www.liilas-francia.com

ضغطت سالي على شفتيها استنكاراً ثم قالت له بشدة: «إذاً فأنت تخدع نفسك، ليس كل النساء يجدنك لا تقاوم، كما تعتقد.»

«هل هذا ما اعتقد به؟»

«هل تنكر ذلك حقاً؟» رمته بهذا التحدي بغضب ظاهر... مع أن الغضب الذي شعرت به كان من نفسها بقدر ما كان منه، لِمَ كانت تسعى لهذا النقاش الخطير؟ لِمَ لا تضع حداً لهذا الأمر ببساطة؟

لكنها لم تفعل. على العكس، أضافت: «أنت تعتقد بذلك بأنه لا يوجد امرأة قادرة على مقاومتك.»

«ولا امرأة سواك، هذه هي الحقيقة. كنت دائماً تقاومينني.»

«اقاومك؟ أوه، لا، لم أكن مضطرة لمقاومتك.» ابتسمت برضى وهي تتابع هذاالجدل الممتع: «آسفة جداً لأنني اوقفت غرورك، يمكنك أن تغوي نساء الأرض جميعاً لكن هذه الواحدة، لحسن الحظ، لن تغويها ابداً.»

ضحك وهز رأسه، من الواضح أن غروره لم يتوقف تماماً. ثم اعترف، وهو ينظر إليها بأذى: «تلك لو امكنني قول ذلك، هي سالي المثالية.» عبست بعدها متسائلة ماذا قصد بذلك بالتحديد، شرح قائلاً: «لطالما أعجبني اندفاعك المستقل، تحبين أن تفكري لنفسك، أن تسيري في طريقك الخاص. ليس هناك كثيراً من الناس هكذا. هذا يشرح الكثير لك.»

توردت بسبب ذلك المديح العلني الذي لا تحتمله. ففكرت في أن هذه مفاجأة، هذا الاطراء الغير متوقع، اطراء قيمتها

الشخصية لم يكن امراً يسترسل فيه جوش. فأكثر ما سمعته منه هو الاتهام.

لكن مع أن وجنتيها خانتا مفاجأتها، لم تقل شيئاً. نظرت إليه ببساطة مثابرة على نظرتها قدر المستطاع وحاولت إخباره بعينيها انها في اعماقها، هي هادئة. فهي لا تستمع إلى الاطراء الخاطىء.

لأن ذلك كان خطأ. فهي تعرف ذلك، حتى من دون التفكير بشأنه. فجوش غير قادر على الشعور بأي شيء ايجابي ناحيتها.

اختلس النظر فجأة إلى ساعته ثم قال: «عند هذه الملاحظة اقترح الاستعداد للعشاء.» دس يديه في جيبي سرواله ونظر إليها، رافعاً حاجبيه: «اقترح العشاء باكراً. حوالي الساعة السابعة، هل نكون جاهزين في خلال ساعة أو حوالي هذا الوقت؟»

لِمَ كان يخطط؟ عشاء ثنائي في احد مطاعم لندن الفخمة؟ خطت سالي مبتعدة عنه. لا تريد المشاركة في ذلك، ثم قالت: «اعتقد أنه من الأفضل أن احصل على وجبة عشاء مختصرة هنا.»

«انتهى روبروت من العمل مساء.»

«استطيع الطهو لنفسي. لا أريد شيئاً فاخراً. سأحضر عجة البيض.»

«لا، لا تحضّري عجة البيض. لقد مضى وقت طويل منذ الغداء.» بدأ يخطو مبتعداً: «حاولي أن تكوني جاهزة عند السادسة والنصف.»

«أنا حقاً افضل عدم الذهاب. اذهب أنت إلى المطعم.

ليس عليك الشعور بأنك ملزم فعلاً باصطحابي معك. فأنا قادرة تماماً على اطعام نفسي.»

«نفسك المستقلة تلك التي ترتفع إلى العالي مجدداً؟» توقف جوش ليبتسم لها علناً من فوق كتفه. بعدما ضيق عينيه السوداوين لها بنظرة لم تتحمل الجدل: «أنت زائرتي وستأتين معي. كوني جاهزة بهدوء في غضون ساعة.»

تستطيع سالي أن تكون جاهزة في نصف ذلك الوقت. هل يتوقع أن تظهر بتسريحة شعر وعطر كإحدى صديقاته؟

نظرت إلى صورتها المنعكسة. لِمَ يسبب هذا البلاء لنفسه؟ لمجرد أنه يجب أن يكره فكرة العشاء من جميع النواحي بدرجة ما تكرهها هي. توقعت أنه فقط اصر على ذلك، لأنها حاولت مقاومته. فجوش لم يلقَ المعارضة ابداً.

كانت بانتظاره في قاعة الاستقبال عندما ظهر مرتدياً سترة غير رسمية وسروالاً وقميصاً مفتوحاً عند العنق.

«هل أنت جاهزة؟ لنذهب، إذن. أم هل تفضلين احتساء العصير.»

نهضت وقالت بحدة: «لا.» بقدر ما تعجل في البداية، تنتهي الأمسية باكراً. ليست لديها رغبة في أن تطيل ذلك.

«جيد. بإمكاننا تناول بعض العصير قبل الأكل هناك.» كان جوش يوجهها عبر الرواق باتجاه الباب الخارجي. نزلا إلى الطابق السفلي، ثم إلى الدرجات المرصوفة متجهين نحو الطريق.

كانت الفيراري متوقفة هناك، قال لها: «أود أن اذهب سيراً الا إذا كنت تريدين القيادة بالطبع؟»

بعض الأمل! بابتسامة خجولة اختلست نظرة على السيارة الحمراء المتوقفة عند حافة الطريق بمجرد فكرة الجلوس خلف عجلة القيادة لتلك السيارة وسط ازدحام لندن الشديد كان كافياً لأن يجعلها مغفلة.

رمت جوش بابتسامة وقالت: «لا. شكراً.» قالت ذلك مدركة أن عرضه كان مجرد نكتة بأية حال. «أنا، أيضاً أفضل الذهاب سيراً.»

ذلك لأن اخذها إلى مطعم ايطالي رائع، يبعد خمس عشرة دقيقة سيراً عن الشقة، من نوع الأماكن العامة الصغيرة التي احبتها. بالأحرى لقد كانت مسرورة لأنها لم تبق لاعداد عجة البيض في المطبخ!

بدأ يذكرها: «لقد اتفقنا على عقد هدنة، اتذكرين؟ إذا أنهيت عبوسك لن اقطب غضباً منك.»

هل كانت عابسة؟ نظرت بدهشة وقد استنتجت بتردد: الحقيقة هي أنها كانت تفكر، أن وجودها معه بدا امراً طبيعياً.

أومأت وأجابت مبتسمة بهدوء: «حسناً، سأوقف عبوسي.»

بدء الأمسية بمزاج خالٍ من الهموم، جعلها تستمتع بقصصه المسلية عن مغامراته المتنوعة حول العالم.

طرحت عليه سؤالها بمرح: «ألم تضل سبيلك ابداً؟ لو أنني كنت اتجول حول الكرة الأرضية بالنسبة نفسها، التي تقوم أنت بها، اعتقد أنني سأنتهي حائرة كلياً.»

نظر إليها: «لا، لن يصيبك ذلك. سوف تستمتعين، وأنا واثق بأن ذلك سيزودك بوحي لرسوماتك.»

«ربما.» استسلمت، مخفضة عينيها قليلاً. لطالما تمنت أن تكون قادرة على رؤية مناطق اكثر من العالم وتمنت أن يجني لها المتجر اموالاً طائلة. الآن طبعاً، ستضع كل هذه الامنيات السخيفة خلفها. ستكون محظوظة لو استطاعت دفع فواتير البقالة الآن، لم تقلق بشأن اطلاق العنان لأيام العطل.

الا أنها لم تقل ذلك. لأنه سيفسد الجو. قالت عوضاً عنه: «على أية حال، يبدو أنها قد اوحت لك. لا احد يستطيع التذمر بشأن الطريقة التي تسير بها اعمالك.»

«لا، اعتقد لا.»

«اود القول انه بالتحديد لا.» اختلست النظر إليه باعجاب صادق. لا يصل اناس كثيرون إلى ما وصل إليه جوش... من ضمن ذلك الشقة في ريجينت بارك والسيارة الفيراري الحمراء! ثم وجدت نفسها تضيف، بدون سخرية: «لطالما عرفت بأنك تعمل جيداً. لم أشك في ذلك دقيقة ابداً.»

«ثقة هائلة.»

«لم لا؟» ابتسمت في الوقت الذي قالت ذلك، وكان يبتسم، أيضاً، وفي عينيه مرح دافىء. عندئذ لم تستطع مقاومة ذلك. تذكرت ادعاءه فحاولت ازعاجه: «لعلك لم تكن الشخص الوحيد المؤهل لاصدار الحكم على الشخصيات.»

ضحك جوش عندها، جاعلاً سالي تضحك، وما أن التقت عيناهما حتى شعرت بانتعاش غريب وكأنه من الطبيعي ان

يشعرا براحة برفقة بعضهما. جعل ذلك سالي تتساءل، بسرعة، إذ لم يكونا دائماً كذلك وأنها هي التي تتوهم هذا التنافر.

لكنها كانت تركز كثيراً على الوقت الحاضر لتتوقف. ما ان جالت عيناه عليها، اضافت: «برغم ذلك، كان لدي سنوات عديدة لأراقبك.»

«إذاً، أهذا ما كنت تفعلينه عندما كنت تجلسين في الزاوية، متظاهرة بالرسم على دفتر الرسم؟ هل كنت تراقبينني بإمعان؟»

«أجل، كنت اراقبك.» اتكأت إلى الوراء في مقعدها ومالت برأسها إلى جهة واحدة: «كما قلت لك دائماً انك ذهبت بعيداً بأفكارك.»

«لا بد وأنك وجدت ذلك مريحاً.» الآن بدأ هو بإزعاجها. «اتخيل أنه كلما بعد المكان الذي فكرت أنني أقصده. كلما كنت اكثر سعادة.»

كثيراً ما انكرت سالي ذلك. لأنه بعيد عن الحقيقة. كان هناك وقت اعتقدت انها ستموت ان لم تر جوش مرة ثانية.

لكنها احتفظت بذلك لنفسها وقالت عوضاً عن ذلك: «اعتقدت ان ذلك في دمك، ميراثاً من والديك... الرغبة في التنقل المستمر.»

ندمت على طريقة تفوهها بهذه الكلمات. بدت نظرة تومض خلف عينيه. لكنه ابتسم: «يمكن أن تكوني على حق. أنا فعلاً احب السفر الا انني دائماً سعيد عندما اعود إلى لندن. انها مدينة رائعة. غالباً ما تمنيت تمضية وقت اطول هنا.»

فاجأها ذلك قليلاً. رمقته بنظرة مزعجة: «ذلك يعبر بارتياب وكأنك تريد تثبيت جذورك. لطالما كنت الجوال الاصلي.»

ابتسم وقال لها: «هل فعلت؟ حسناً، لربما كنت كذلك. ربما أنا الآن في ريعان شيخوختي.»

قهقهت سالي: «حتماً لا. قطعاً لا تبدو عليك أية دلائل.»

ابتسم ونظر في عينيها للحظة، بطريقة جعلت قلبها يخفق بسرعة مفاجئة.

ابتعدت فجأة مرتبكة كلياً، وتظاهرت بأنها تختلس النظر حولها إلى المطعم المزدحم: «هذا مكان ممتاز. لقد أعجبني فعلاً.»

«أجل، أنا أيضاً كذلك. انه المفضل لدي. عندما اكون في لندن آتي إلى هنا.»

«أجل، لقد حزرت ذلك.» حاولت النظر إليه. لكن بتردد شديد أبعدت عيناها مجدداً: «واضح ان كل النادلين يعرفونك.»

وفجأة، ما ان قالت ذلك، حتى خطرت لها فكرة جديدة. هل احضر كارين إلى هنا؟ جعلتها تلك الفكرة تقشعر فوراً. هل كارين هي السبب في رغبته المفاجئة للمجيء إلى هنا؟

توترت وقالت لنفسها، كفى. لا يهمني ما يقوم به جوش وكارين.

وضع سكينه جانباً ونظر إليها ثم قال: «إذاً أخبريني بشأن رسمك، ما الذي تعملينه الآن.؟»

انسجمت بذلك، مسرورة لتغيير الموضوع: «إنني ارسم

صورة لوالدتي. ارسمها في الغالب نقلاً عن صورها، مع انها قد جلست مرتين امامي في المراحل الأولى.»

«هل أنت مسرورة بذلك؟»

أومأت: «سعيدة إلى حد بعيد، لقد جربت بعض الاساليب الفنية وقد بدا أنها فعالة.»

«هل ستبيعينها عندما تنتهين او تودين الاحتفاظ بها؟»

ترددت قليلاً، تفكر في الرد. ثم فجأة وكأن يداً باردة وضعت على قلبها، وجدت نفسها تفكر بكارين مجدداً.

وبصوت يمكن أن يوصف على أنه عدائي، قالت له: «محتمل أن ابيعها، لقد حصلت على مشتري. الفنانة المكافحة لا ينبغي أن تكون عاطفية... خاصة عندما تنتزع منها فجأة مصادر الدعم البديلة.»

ردة فعله الوحيدة كانت النظر إليها بثبات: «لكن هذا بالتأكيد ما تريدينه حقاً، على أية حال... للتفرغ إلى الرسم.»

ذلك دليل كامل على رباطه الجأش. كان مدهشاً حقاً. لم تكن سالي واثقة من احساسها، اتشعر بالغضب أم بالأعجاب، فاجابت من دون أي تعبير: «بلى، اعتقد كذلك.»

«لطالما كان ذلك طموحك... على الأقل، هذا ما فهمته. وبرأيي، ان أي عمل آخر سيكون مضيعة لذلك الطموح.»

«تقصد بأنك قد اسديت لي خدمة بحرماني من المتجر؟» كبتت اعجابها بشكل نسبي. وشع غضب مطبق من عينيها الخضراوين: «ربما تعتقد بأنني يجب أن أكون ممتنة؟»

ابتسم واجاب: «ربما ينبغي أن تكوني. ربما في السنوات القادمة ستكونين ممتنة.»

وقاحته كانت هائلة، كانت مهينة، جارحة، قاسية يصعب وصفها.

ضاعف ذلك بإضافته: «لطالما تعجبت أنك اخترت فتح متجر في المقام الأول.»

«أنت؟ اعتقدتك اخبرتني بأنك تعتبر ذلك جديراً بالاعجاب.» رمقته بنظرة مستنكرة. من الواضح أنه نسي بأنه قد اخبرها ذلك. نظرت في عينيه: «أو، هل كان ذلك كذب؟ فقد وجدته جديراً بالاعجاب، لكنني وجدته أيضاً إلى حد ما مستغرب. كان نوعاً من التحرك الحذر توقعته من شخص آخر.»

ابتسم: «اعتقدت أن سالي التي عرفتها أكثر جرأة.»

صمتت للحظة، أجل، قد كان تحركاً حذراً. كانت مدركة ذلك عندما قامت به. لكن لديها أسبابها. نظرت إلى جوش بضيق: «لم أكن مستعدة للبدء بالتفرغ للرسم. عندما تركت المدرسة الفنية كنت لا ازال اكتشف طريقي.. اسلوبياً... ابداعياً عرفت انني بحاجة إلى مزيد من الوقت.»

كان يراقبها، مصغياً تماماً. تابعت، مع أنها ارتابت بأنه غير سعيد حقاً: «إضافة إلى ذلك، شعرت أن المتجر يمكن أن يكون سوقاً جيدة لرسوماتي ربما اخيراً، احوله كلياً لبيع اعمالي.»

«وكلايف يقوم بالبيع؟»

«أجل، تلك كانت الفكرة.» شعرت باضطراب غريب للطريقة العرضية التي ادخل بها كلايف إلى النقاش. ما هو

الاثم الذي ارتكبه؟ تساءلت بسرعة. كلايف يبعد اميالاً عن امالها.

تابعت: «الفكرة كانت أن اترك المتجر واكرس كل وقتي الرسم. وكلايف يدير المتجر على طريقته.»

«لقد فهمت. خطة متقنة.» أومأ برأسه. ثم نظر إليها عبر المائدة لبرهة طويلة: «لكنني واثق أنك لست بحاجة لكلايف ليبيع لك رسوماتك، فأنا واثق بأنك تستطيعين فعل ذلك على طريقتك.»

تعمدت عدم الاجابة، هل كان يحاول أن يقنع نفسه أنه حقاً لم يسبب لها أي ضرر؟

مع ذلك لِمَ يجب عليه فعل ذلك؟ فقد أراد لها الأذى فهو واثق بأنها سارقة وكاذبة.

شعرت بسهم مفاجيء من الألم في قلبها.

كبتت شعورها، لقد سببت الغضب لنفسها: «ان فعلت ذلك ام لا فلن يكون هناك امتنان لك. إن لم يكن لديك مانع، فأنا افضل حقاً ألاّ اناقش ذلك فأنت مستمتع على أية حال، وهذا يروق لي تماماً.» اتكأت إلى الوراء في مقعدها.

في تلك اللحظة اتى النادل لأخذ الصحون. أخذ قلبها يخفق بقوة ممتنة لهذه المقاطعة. هذا التغير المفاجيء الواقع القاسي قد أحزنها اكثر مما ينبغي ان تحزن.

«هل تريدين بعض الفاكهة أو الحلوى؟» كان يكلمها بهدوء، غير متأثر بعاطفتها. ولم يتأثر؟ فقد كانت محقة، فهو لن يهتم.

نفيت قائلة: «لا، شكراً.»

«أنا أيضاً اعتقد بأنني لا أريد. ما رأيك بالقهوة؟»

هزت رأسها مجدداً، مسيطرة على انفاسها. فجأة، كل ما ارادته هو الذهاب من المطعم، متحررة منه، حتى تستطيع التفكير بشكل سليم.

سمعته يقول بارتياح: «أجلب لي الفاتورة، من فضلك.» رأته بطرف عينيها يمد يده إلى محفظته. لأول مرة، فعل تماماً كما رغبت. فتنهدت باطمئنان.

عم صمت فعلي خلال العودة إلى الشقة، وقد سارا بعيدين عن بعضهما قدر الامكان. اقتربا من واجهة المبنى، مرة ثانية، بصراحة تامة، صارا عدوين.

حين دخلا الشقة، استدار نحوها وسألها: «هل تريدين بعض الشراب قبل الذهاب للنوم؟» لكن صوته كان قاسياً، واستطاعت أن ترى في عينيه عدم رغبته في أن تقبل عرضه. فقد كان مثلها متشوقاً جداً لإنهاء الأمسية.

هزت رأسها بلطف: «لا، سأذهب مباشرة للفراش.» ثم اضافت بأدب: «شكراً على العشاء.»

«لا تشكريني على ذلك. ناسي جيداً.» استأنفها بالانصراف: «سأراك في الصباح. لدينا اعمال، اتذكرين؟»

«أوه، لم انس.» التقت عيناهما قليلاً، خشية أن يفكر للحظة واحدة إنها الأقل خوفاً من لقائهما الموعود مع صاحب المتجر: «لا تقلق، سأستيقظ باكراً مبتهجة.»

بعدئذ، ما أن تحرك باتجاه قاعة الاستقبال، حتى استدارت وتوجهت على عقبيها إلى غرفتها.

ولم تكن خائفة من ذلك اللقاء غداً، قالت ذلك لنفسها في الوقت الذي استعدت فيه للنوم. متوترة، أجل. هذا الأمر كله جعلها تتوتر، لكن ليس لديها سبب لتكون خائفة.

اندست بين الاغطية وحدقت نحو السقف. على العكس تماماً، لديها سبب كامل للتطلع للغد. هل بالتأكيد هذا اللقاء مع السيد آيتكن سيبرىء اسمها اخيراً؟

حاولت التركيز على تلك الفكرة في الوقت الذي اطفأت الضوء، تلح على نفسها للشعور بالهدوء والبرودة، والايجابية، لديها سبب تام للشعور كذلك ولا سبب للشعور غير ذلك.

بعدها، ما إن حدقت في الظلمة، ثقل قلبها، امتلأ عقلها فجأة بالارتباك كيف يمكن أن تكون ايجابية؟ ربما قد ادعى جوش ذلك لها. ربما غداً عندما يسيران إلى المتجر، تكون ردة فعل السيد آيتكن كمساعدته. تحركت بضيق وقلق، ربما لديها سبب وجيه لتكون خائفة.

لكن لم تكن هذه هي الأفكار الوحيدة التي كانت تحتشد في رأسها.

تدفقت الدموع من عينيها عندما ضغطت بوجهها على الوسادة واستمرت تقول لنفسها: «أنا لا أهتم!»

تناولت فطورها في الصباح التالي وحيدة في غرفة الفطور المشرقة التي تطل على الحديقة المغطاة بالأزهار، فلقد اخبرها روبرت، ان جوش قد تناول بعض الطعام منذ بعض الوقت.

إنه متشوق جداً بلاشك لمرافقتي لمتجر التحف حالما امكن، فكرت بقليل من التوتر وهي تمسح قطعة من الخبز المحمص بقليل من العسل. لا بد وأنه بغاية الشوق لرؤية السيد آيتكن يشير بأصبعه باتجاهي وبالطبع هو لن يفعل إلا إذا كان جوش قد دفع له.

في تلك اللحظة ظهر جوش في المدخل: «هل ستكونين جاهزة للذهاب في غضون نصف ساعة؟»

شعرت بقلبها ينبض بسرعة وبسهم مفاجيء من الألم يمزقها ما ان نظرت إلى وجهه.

قالت، وهي تحاول أن تكون قاسية: «أجل، استطيع أن أكون جاهزة متى اردت.»

«حسناً. نصف ساعة. سأتركك لتكملي فطورك بسلام.»

لا زال يتصرف بذلك الأدب لكن بأسلوب مختلف عندما تقابلا بعد نصف ساعة في الرواق، قال ببساطة: «لنذهب، السيارة متوقفة تحت.»

اختلست النظر إليه. وهو يجلس بجانبها في الفيراري. تصرفه الغريب هذا جعلها تتوتر اكثر. ربما فعلاً قد لفق امراً على أية حال.

استغرقت المسافة للمتجر عدة دقائق. فكرت بقليل من القلق، وهما يتوقفان امام المبنى ذات الواجهة الزرقاء بأنهما قد وصلا سريعاً جداً، ثم خرجا من السيارة وسارا عبر الرصيف، جوش في المقدمة، سالي خلفه وشعرت بالدوار فجأة.

فتحت الآنسة جاميسون لهما الباب.

«صباح الخير سيد كينغسلي.» تمتمت وهي ترشدهما للداخل. ثم اضافت: «تفضلا معي. السيد آيتكن ينتظر.» بعد مضي لحظة كانت تقودهما إلى المكتب خلف المتجر.

بدأ يزداد قلقها فجأة. وقد بلغ ذروته في الوقت الذي تمتمت المرأة: «تفضلا بالدخول.» خفت خفقات قلبها ما

ان فتح الباب فجأة، وخطت للداخل على ساقين مرتجفتين.

هناك أمر واحد للتأكد، قالت لنفسها بتوتر، في الوقت الذي نهض آيتكن وراء المكتب واقفاً. لم تقع نظراتها عليه من قبل. لكن موضوع الخلاف كان بالطبع ما لديه ليقوله. خفق قلبها ما إن حدق في وجهها.

بدا وكأنه دهراً. لكن بعدئذٍ، ابعد نظره ببطء عن وجهها، ثم خاطب جوش مباشرة.

قال ببساطة تامة: «لا، هذه ليست الفتاة.»

تنفست الصعداء. استدارت نحو جوش. إلا أن عينيه كانتا على آيتكن: «هل أنت واثق تماماً؟»

أشار السيد آيتكن بحزم: «لا يمكن أن أكون أكثر ثقة. الشعر نفسه وكذلك الطول والشكل الخارجي. لكن هذه ليست هي. انها مختلفة كلياً.» توقف واستدار ليبتسم لسالي: «لأمر واحد، أن هذه السيدة الشابة أجمل بمقدار غير محدد.»

ابتسمت. لم تستطع السيطرة على نفسها. أخيراً اصبحت بريئة من كل الجرائم التي اتهمها بها جوش. هذا أروع شعور في العالم. حملاً ثقيلاً أنزل عن كتفيها. شعرت فجأة وكأنها ستثب فوق المكتب وتحتضن السيد آيتكن.

أمر آخر، جعل فؤادها يتوهج أيضاً. نظرت إلى جوش، والارتياح يفيض في نفسها. هو لم يلفق ذلك، على أية حال. لم يدع مجالاً للشك بشأنها. ممكن أنه لا زال يكرهها، لكنه لا يكرهها كثيراً.

«انني مدين لك باعتذار.»

بعد مضي عشر دقائق، استأذنا السيد آيتكن بالانصراف واعتقدت سالي، انهما عائدان للشقة.

الا أن جوش كان يستدير لمواجهتها أثناء إدارته للمحرك. قال مجدداً: «أنا مدين لك باعتذار. كيف يمكنك أن تسامحيني من أجل هذا؟»

«لا أعرف.» تلك كانت الحقيقة. نظرت إلى وجهه وتبينت الصدق الذي ينبعث من عينيه. لكن هناك امراً آخر أيضاً، أمر جعلها تحتار. علقت قائلة وهي تضيق عينيها: «انك تأخذ الأمور كلها بهدوء كبير. فأنت لم تحرك جفنك هناك في مكتب السيد آيتكن.»

كان ذلك صحيحاً. فتعبيره طوال المقابلة الوجيزة، لم يتغير ولو قليلاً. قد بقي هادئاً وصادقاً ومتحفظاً كما كان عندما وقعت عيناها عليه في الصباح. نظر إليها الآن وبين لها السبب.

قال لها بصوت صريح: «لقد عرفت سابقاً.»

«عرفت ماذا؟»

«انك لم تكوني أنت.»

سألته بتعجب: «ماذا تعني أنك عرفت بأنني لست أنا؟ هل تحاول إخباري أنك تعلم منذ البدء؟»

«ليس منذ البدء، لا. تمنيت لو عرفت. لكنني عرفت منذ الساعة الثامنة صباحاً. كنت على وشك الاقتراح بإلغاء مقابلة السيد آيتكن، لكن بعدها قررت ممكن أن يكون أفضل لو ذهبنا للقائه... فقط لمجرد التأكد.»

«للتأكد بشأن ماذا؟» استدارت باتجاهه. ماذا يجري؟ كان يتكلم بالألغاز.

«للتأكد من أن معلوماتي صحيحة... مع أنه عليّ القول بأنني أكيد إلى حد ما إنها كذلك.»

سألته باستغراب: «هل تمانع في إخباري عمَّ تتكلم؟»

«لن يعجبك ذلك.»

راودها هذا الشعور سابقاً. كان هناك أمر بخصوص النظرة المتحفظة في عينيه والتي جعلت قلبها ينقبض.

قالت له بصوت أجش: «لم يعجبني شيئاً من ذلك كله حتى الآن... لذا ليس عليك القلق بشأن ما ستخبرني به. بدأت الاستعداد لتلقي الصدمات الرديئة.»

لكنه لا زال متردداً: «هذه المرة بخصوص كلايف. كلايف وفتاة أخرى.»

لم تتوقع ذلك. أشاحت بنظرها قليلاً: «كلايف وفتاة أخرى؟ ماذا تعني فتاة أخرى؟»

«ربما يجب أن اقول الفتاة الأخرى.» اخذ جوش نفساً عميقاً: «تلك التي قابلها آيتكن. الفتاة التي انتحلت اسمك. وصلتني معلومات اين يمكن أن يكونا هي وكلايف. لو احببت، نذهب سوياً ونتحقق من الأمر... أو بإمكاننا ترك الأمر كله للبوليس.»

جاهدت لاستيعاب ذلك. خفقات قلبها تتسارع. قالت له: «اين يفترض أن يكونا؟»

«في هايغات. ليست بعيدة. الأمر عائد لك ان أردت، يمكننا الذهاب... القرار لك.»

كان التعاطف الذي رأته في عينيه هو سبب قبولها الذهاب.

«حسناً.» كان صوتها أجش، مع أن قلبها بالكاد كان

يخفق. لقد قالت انها زادت استعداداً لتلقي الصدمات الرديئة، الا أنها لم تكن واثقة تماماً ان كانت جاهزة لهذه الصدمة، ضغطت على نفسها لتضيف: «لنذهب الآن. مباشرة.»

«هل أنت واثقة؟»

«نعم.»

ليس لديها فرصة لتغيير رأيها. في اللحظة التالية كانا يندفعان بعيداً عند حافة الطريق، متوجهان نحو شمال لندن، والحقيقة أخيراً.

الفصل الثامن

«ان بدلت رأيك بامكاننا العودة.» تكلم جوش فجأة في الوقت الذي تغلب على ازدحام السير: «هذا ليس متأخراً جداً وبإمكاني تفهّم الأمر.»

مرا أمام اشارة تقول «هايغات على بُعد نصف ميل.» أصبحت امعاء سالي ككتلة من الحجر في داخلها. فقد كانت أمعاؤها تحثها لأن تقول، حسناً لندع ذلك للبوليس، إلا انها ضغطت على نفسها لتهز رأسها.

أجابت بصوت أجش: «لا، اريد الذهاب. اريد مواجهة ما يجري وجهاً لوجه بالضبط. لقد كنت المتفرج الجاهل في كل ذلك لمدة طويلة.»

كانت تدرك ذلك، عندما تكلمت، كان صوتها مرتعشاً، شعرت بنظرة جوش المتعاطفة باتجاهها. الا انها لم تنظر إليه، لم تقو على تحمل لقاء نظراته. ولا على تحمل لقاء نظرة أي شخص... لكن بوضوح ليس عيني جوش المشرقة، الحادة.

شعرت بالتخدير التام داخلياً، ما ان قاومت لمسك زمام الأمور بالنسبة للحقيقة المذهلة التي بدأت تتضح لها تدريجياً. عرفت ان الأسى الذي تشعر به كان يشع من عينيها. شعرت ان انطباعها، كان رهيباً وممزقاً. لم يكن لديها رغبة في كشف تجردها العاطفي له.

«ها هي.»

فجأة كانا يستهلان شارعاً من الضواحي وجوش قد خفف سيره وأمعن النظر إلى أرقام البيوت. ثم أشار وهو يقترب بمحاذاة الرصيف: «انه ذلك البيت ذو الباب الأخضر والسيارة الفولفو الرمادية المتوقفة خارجاً.»

السيارة هي لكلايف. عرفتها فوراً. خفق قلبها بشدة عند رؤيتها.

قالت مجبرة نفسها على الاعلان بهدوء: «أجل، يبدو وكأنه في الداخل.»

مدت يدها إلى قبضة الباب. ثم سألته: «هل تنتظر هنا؟ لا أعرف كم سأبقى، ليس طويلاً على ما أتوقع.»

«سآتي معك، لن أسمح بدخولك لوحدك إلى هناك.»

استدارت لمواجهته: «أوه، لكن ينبغي ان ادخل بمفردي! هذا خاص بيني وبين كلايف. لا أريدك ان تأتي معي!»

أجابها: «اعتقد بأنه يجب ان ادخل. لست واثقاً بأنك تستطيعين تدبر ذلك بمعرفتك.»

لم تكن واثقة أيضاً، لكنها تعلم بأن عليها تدبر ذلك. أخذت نفساً عميقاً: «استطيع تدبر ذلك. لا تقلق.» ثم ابتسمت ابتسامة اشمئزاز: «لا تخف، فهو ليس خطيراً، على الأقل ليس في الشكل الجسدي.»

ابتسم لها ابتسامة لطيفة، متعاطفة جعلتها تبعد نظرها فوراً، فهي لا تستحق منه أن ينظر إليها بهذه الطريقة. فقد جدد شعورها بالعزم.

استدارت بعيداً فجأة وحدقت بتهور من خلال شباك السيارة، ثم قالت بلطف: «أرجوك، اعطني عدة دقائق بمفردي معه ثم بامكانك الدخول ان شئت.»

«حسناً، لديك عشر دقائق.» قام جوش بهذا التنازل بتذمر. ابعد يده عن قبضة الباب وجلس مجدداً في مقعده ثم كرر: «عشر دقائق، فقط، تذكري.»

اشارت بالموافقة وبدأت النزول من السيارة، حقيبتها معلقة بيدها وكأنها ترس. خطت بعدها باتجاه الباب الأخضر، تتوسل بشدة للاحتفاظ بهدوئها ازاء ما هو مقدّر ان يحدث لاحقاً، كل ما أطلبه، هو ألاّ تدعني اجعل نفسي غبية.

ضغطت جرس الباب وسمعته يرن في القاعة، ثم ضغطت على نفسها لتتنفس بعمق وهدوء عند سماع صوت اقدام متجهة باتجاهها.

بعد لحظة فتح الباب ووجدت نفسها تنظر إلى وجه فتاة شقراء الشعر، زرقاء العينين.

إذاً هذه من انتحلت شخصيتي، وجدت نفسها تفكر بطريقة مستقلة بغرابة فاجأتها قليلاً. لقد توقعت ان تشعر بانفعال أكبر قليلاً.

حدقت إليها الفتاة، ثم سألتها بصوت عدائي: «نعم؟ ان كنت تبيعين شيئاً، آسفة انني لست مهتمة.»

«لست أبيع أي شيء.» فجأة أصبح هدوء سالي بالغاً حده، ارخت قبضتها المشدودة على حقيبتها ثم قالت: «لقد أتيت لرؤية كلايف، هل يمكنني الدخول؟»

«بامكانك ذلك.» وقفت الفتاة بعيداً قليلاً ثم ترددت متأخرة: «من أنت؟ كيف يمكنني ان أعرف إذا ما كان كلايف يود رؤيتك؟»

لكن ما ان حاولت اعتراض سبيلها حتى كانت سالي قد قطعت نصف المسافة داخل القاعة. اخبرت الفتاة بهدوء:

«أوه، لا اعتقد بأنه يود رؤيتي. لكنني أريد ان أراه، بأية حال، اسمي سالي وودستوك.»

كان تأثير ذلك البلاغ على سالي ساراً كثيراً، إذ تغير لون الفتاة. وتبدل بانزعاج ثم ثرثرت: «سالي وودستوك؟»

«أجل، سالي وودستوك الحقيقية.» ابتسمت كمبتهجة بالنصر، منتهزة فرصة ارتباك الفتاة، لتستمر بالدخول نحو القاعة. اختلست النظر حولها: «الآن اخبريني أين كلايف. أريد ان أكلمه وليس لدي المزيد من الوقت.»

«انه في المطبخ.» اشارت الفتاة الشقراء إلى الباب الشبه مغلق. لكن في تلك اللحظة فتح الباب وظهر كلايف مبتسماً ابتسامة عريضة.

«يا للمفاجأة!» خطى نحوها وكأنه قد سر حقيقة لرؤيتها. «كيف علمت انني بقيت مع ابنة عمي؟»

عبست بوجهه، شاعرة بالكثير من الخداع والكره ومتعجبة من سيطرة نفسها على هدوئها. كانت تتوقع ان مواجهته وجهاً لوجه ستكون مؤثرة أكثر. إلا ان كل ما كانت تفكر به فجأة هو انه مخادع وقح وانها كانت بلهاء لأنها لم تر ذلك من قبل.

نظرت إلى ابتسامته مباشرة: «هل هي ابنة عمك؟ حسناً، أنا آسفة لأن ابنة عمك مثلك، لديها بعض الأسئلة لتجيب عليها.»

استمر كلايف بالابتسام، الا ان الشعاع الذي في عينيه قد شحب: «عمّ تتكلمين؟ ادخلي لتناول الشاي.»

«لا اريد ان اتناول شيئاً. أنا هنا بشأن أعمال جدية...» ما ان توقفت سالي، مسيطرة على أفكارها قبل الانقضاض الرئيسي، قاطعها صوت الفتاة من خلفها.

«اعتقد بأنها تعلم يا كلايف.»

«تعلم؟ تعلم ماذا؟» استمر يخادع، والآن جاء دور سالي لتقاطعه.

«أجل، صديقتك على حق... آسفة، ابنة عمك.» صحّحت ذلك بسخرية: «اعلم كل ما أنت منهمك به. كيف استغليت صداقتك لي لتخدع فنانة خزف محلية... تبيع عملها في لندن تحت اسم مزيف وبخداع تحتفظ بالربح لنفسك كيف استطعت يا كلايف؟ لقد وثقت بك!»

«لا أعلم ما أنت بصدده.» بدا وكأنه شخص مجروح الشعور. يا له من ممثل! لا عجب لو انها خُدعت به.

«كاذب!» خطت باتجاهه، يداها مضمومة القبضة. «وأنت لم تخدع فقط اصحاب الحرف الذين نتعامل معهم... وأراهن بأن كارين ستوكس لم تكن الضحية الوحيدة... لديك الجرأة لتشوه سمعتي في العملية!»

اختلست نظرة إلى خلفها باتجاه الفتاة الشقراء التي لا زالت واقفة تصغي: «ماذا تأملان... لو ألقي القبض عليكما، اللوم كله بشأن كل شيء سيقع عليّ؟ أنت حثالة المجتمع، يا كلايف! لسوء الحظ أنني لم اكتشف ذلك عاجلاً!»

«أأنا حثالة المجتمع؟» فجأة تغيّر سلوك كلايف. اختفت الابتسامة الزائفة. قطب وجهه ثم قال لها فجأة: «ربما تعتقدين انني حثالة المجتمع، إلا انني رجل أعمال ناجح أكثر منك. ليست لديك معلومات عن كيفية كسب الارباح! هل اعتقدت جدياً ان كل ما أردته من الحياة هو ادارة متجرين صغيرين للتحف في المناطق الريفية؟» ضحك ضحكة قاسية: «لا بد انك مجنونة. لقد استغليتك، ايتها المغفلة البائسة، مباشرة منذ البداية!»

لأول مرة منذ ان خطت نحو الرواق الضيق، يضطرب مظهرها.

شعرت بأنها ضعيفة. ما كان يقوله هو أمر مروع... مع انها، بالتأكيد، ذكّرت نفسها من خلال الضباب الذي يلف أفكارها، انها عرفت قبل ان تأتي إلى هنا ان هذا هو الوضع، ان كلايف استغلها بسخرية مباشرة منذ البداية. لكن الصدمة الكبرى هي ان تسمع ذلك منه.

كانت مدركة لرنين الجرس ما إن اجابت بارتعاش: «حسناً، لقد انتهت لعبتك الدنيئة الآن. انني على وشك كشف ذلك.»

«أنت؟» رن الجرس مجدداً، هذه المرة بإصرار أكبر، مع ان كلايف بدا غافلاً تماماً بشأن ذلك في الوقت الذي بدأ يعترضها: «لا اعتقد بأنك ستجدين ذلك سهلاً كما تعتقدين، لدي كل أنواع العمليات الصغيرة هذه التي تجري، ربما كان باستطاعتك ايقاف اثنين منها، إلا انك لن توقفيني!»

خطى نحوها فجأة مبتسماً بخبث، وتابع: «إذاً لِمَ لا تعودين إلى قريتك الصغيرة حيث تنتمين وتواصلين جمع قوتك بجهد من متجرك الحقير وترسمين تلك الصور المحزنة التي لن تباع أبداً؟»

أمرها قائلاً: «اذهبي! اذهبي من هنا!»

أرادت ان تضرب يده بعيداً، الا انها كانت على وشك ان تفقد توازنها بعد ان تعثرت بسجادة القاعة. ترنحت مجدداً بسرعة! فكرت انها على وشك الانتهاء بسقطة مخزية على الأرض!

لكن ذلك لم يكن قدرها. بل هو قدر كلايف.

كانت هناك يد ثابتة فجأة على خصرها وشعرت بتدفق

هواء أمام أذنها. كان جوش قد وجّه صفعة مفاجئة لكلايف.

سمعت جوش يأمره: «ابعد يديك عنها! ان اردت ضرب احد، حاول ان تضربني أنا!»

لكن كلايف ليس في وضع يمكنه ضرب احد. اتسعت عيناه بالمفاجأة ما ان تعثر للوراء وسقط على الأرض. تمدد هناك، للحظة ثم نهض ببطء وسأل: «من أنت ايها الوقح؟»

«انني أسوأ كابوس لديك جاء للواقع، هذا أنا.» خطى جوش في مقدمة سالي ليواجهه: «انني الشخص الذي سيُشرف على نهايتك... كلياً! وذلك لن يكون صعباً كما يبدو انك تتوهم!»

نظر إلى الرجل الآخر، الذي ابعد عينيه بعيداً، غير قادر على تحمل نظرة جوش القاسية: «البوليس في طريقه اليك الآن. لديهم كل التفاصيل بشأنك. لذلك ليس هناك داعي لمحاولة الفرار. لو كنت مكانك، لاستسلمت بلياقة.»

«والآن لنخرج من هنا.» استدار جوش باتجاه سالي، أمسك ذراعها ووجهها باتجاه الباب، من أمام كلايف ورفيقته الشقراء التي لا زالت واقفة كالصخر من شدة الدهشة، اتسعت عيناها، مأخوذة بصمت بذلك المشهد: «هذا المكان اثار اشمئزازي. انني بحاجة لبعض الهواء المنعش.»

اتخذت سبيلها بلياقة إلى الممر، خارج البوابة ثم إلى الرصيف حيث السيارة. فجأة، بدأت أوصالها ترتجف بطريقة لا يمكن السيطرة عليها. توقعت انها لن تتمتع بحرية التصرف أبداً.

بعدئذ كانت تلقي بنفسها في الفيراري وجوش يصعد بجانبها، ثم مد يده إليها ليوثق لها حزام الأمان.

شعر وكأنها طفلة مصدومة وضعيفة، مجردة من القدرة على المخاطبة والحركة، غير قادرة على فعل أي شيء لنفسها. كان ذلك وكأن فداحة كل ما حصل كان فقط بداية تدريجية لتفهم ذلك جيداً والسبيل الوحيد الذي يمكنها من التغلب على الأمر هو ان تحرر نفسها من ذلك، لتبقى صامتة ومسيطرة وهادئة وساكنة.

كانت تتنفس بصعوبة فاقدة الحس حتى أعماقها.

بدا جوش وكأنه متفهم. قاد بهدوء وصمت كل الطريق من هايغات إلى ريجينت بارك. وهذا ما كانت بحاجة إليه بالضبط.

مرة ثانية كانا خارج الشقة، ساعدها على النزول من السيارة، ثم وجهها بيد لطيفة عبر الرواق إلى المصعد الذي اخذهما إلى الشقة. لم يتكلم الا عندما اصبحا داخل الشقة.

قال لها: «اجلسي، سأحضر لك عصيراً.»

جلست على حافة احد المقاعد المغطاة، شعرت وكأنها مثل وتر بيانو، مشدود على وشك ان يطلق صوتاً حاداً وإذا بدأت، خشيت من التدفق الذي سيلي. فهي حالما تبدأ فستفقد زمام السيطرة على نفسها.

حين احضر لها العصير، قال لها: «اشربيه ببطء، فسيجعلك تشعرين بحالة أفضل.»

لا شيء بامكانه ذلك. فكرت لكنها لم تتفوه به بل عوضاً عن ذلك، رشفت بامتثال، ثم حدقت إلى الكوب. لا شيء بامكانه ان يمحو شعورها بالبؤس العنيف.

جلس على كرسي في مواجهتها وانحنى باتجاهها، فبدت نظرة اهتمام على وجهه: «لا تفكري بالأمر بهذه

القسوة، فهو حقاً لا يستحق ذلك. فقط كوني مسرورة لأننا عرفنا الحقيقة أخيراً.»

كان سهلاً بالنسبة له قول ذلك. اختلست النظر إليه، واجبرت نفسها على الكلام، مع ان صوتها كان أجش قالت له: «لقد صدقته، ووثقت به تماماً، ومباشرة منذ البداية كل ما فعله كان استغلالاً لي.»

بانت نظرة ألم على وجهه. وضع كوبه جانباً: «اعرف انه من الصعب مواجهة امر كهذا... خاصة عندما تكونين قريبة عاطفياً من الشخص المعني. لكن لا تلومي نفسك لأنك خُدعت به. انه مخادع محترف. فقد خدع أشخاص كثر، انه بارع في ذلك، هذا ما يفعله كي يعيش.»

«وقد حذرتني، ألم تفعل؟» تابعت سالي النظر إليه، قست قسماتها بانفعال مكبوت: «لقد حذرتني قائلاً بأنه يواجه متاعب. لم اصدقك ولم استمع لك.»

«اعتقد ان ذلك قابل للتسامح في هذه الحال.» ألقى نظرة شاملة على وجهها بعين متسامحة: «لا يمكن للانسان ان يصدق كل كلمة تقال عن الشخص الذي يحب.»

الشخص الذي يحب؟ انزعجت داخلياً، فكرت. لم أحبه على الاطلاق. على الأقل هذا ما أنا ممتنة لأجله. إلا انه بدا أمراً غير ضرورياً قول ذلك بصوت عال، فذلك لا يهم جوش بطريقة أو بأخرى.

قالت بدلاً عن ذلك، تجاهد لمنع دموعها التي تؤلمها من الانهمار: «وأنا افكر بأنه كان يحتقرني ويستغلني طوال الوقت. كيف امكنني ان أكون حمقاء هكذا؟»

«أنت لست حمقاء، صدقيني. انت وثقت به وهو خدعك.

هذا جعله كاذباً، الا انه لم يجعلك حمقاء.» ضيق عينيه وهو ينظر باتجاهها: «وأنا لا أعتقد انه يحتقرك... بل على العكس، انه يقدّر موهبتك كفنانة...»

«كيف يمكنك قول ذلك؟» قاطعته بعدم صبر مزقت الدموع المكبوتة حنجرتها فجأة: «لقد سمعت ما قاله بشأن رسوماتي، رسومات حقيرة محزنة! ذلك لا يعتبر تقديراً لموهبتي!»

«هو لا يقصد ذلك بل حاول ايذاءك لأنك كشفت أمره. لكن، في الحقيقة، أنا واثق انه يفكر العكس.» نظر في عينيها للحظة: «برأيي ان احد الأسباب الرئيسية انه كان يمسك بك... هكذا بامكانه استغلال قدرتك كرسامة. من المحتمل انه خطط لأن يفعل برسوماتك ما فعله مع البومات الزرقاء... يبيعها سراً تحت اسم آخر.»

«اتعتقد ذلك فعلاً؟» نظرت إليه. ربما كانت هذه الحقيقة وربما لا، الا انها عرفت باقتناع كبير ان هذا ما ينبغي على جوش ان يقوله.

أشار قائلاً: «أنا حقاً اعتقد ذلك، في الحقيقة، أنا واثق تماماً.»

يا لعينيه اللطيفتين. فيض من العاطفة سرى في داخلها. لا أحد في العالم يملك عينين لطيفتين، حنونتين كعينيه. همست قائلة: «شكراً لك.» عندئذ أغمضت عينيها باحكام ما ان شعرت بنشيج البكاء يرتفع من حنجرتها.

وفجأة، لم تعد قادرة على الاحتفاظ بدموعها. فانهمرت دموع حارة، عاجزة على وجهها.

«هذا أفضل. دعي دموعك تنهمر. حبسها ليس جيداً.» فجأة، قطع جوش المسافة القصيرة التي كانت بينهما وقال: «ابكي، ابكي إلى ان تشعري بالراحة.»

فعلت ذلك، مع ان نوبة البكاء التي استحوذت عليها كانت انفعالاً انتهى حالاً وبدأت تجفف دموعها، لقد كان على حق... شعرت انها أفضل بسبب ذلك. فلم تعد تشعر بالتوتر الشديد. لم تعد تشعر انها يمكن ان تنفجر.

ما ان مسحت وجنتيها بالمنديل الذي قدمه لها، تابع جوش يقول بلطف: «سأبقيك لفترة حتى تتغلبي على الصدمة. لكنني هنا متى احتجت لكتف تبكين عليه.» تغير صوته بهدوء: «هذا أقل ما يمكنني فعله.»

اختلست النظر اليه منذهلة بفكرته الغامضة عندما قال كتفاً تبكين عليه. لقد فكرت بما يملك من طاقات عبر السنين التي عرفته، الا انها لم تفكر به من قبل كمصدر للراحة أبداً.

قالت: «ماذا تعني، هذا أقل ما يمكنك فعله؟»

«بعد ما اتهمتك به لا زلت قادرة على سؤالي ذلك؟» ابتسم ابتسامة استياء وقال: «هل نسيت انني صدقت سابقاً انك كنت مسؤولة عن كل ذلك؟ هل نسيت انني كنت اعتقد بانك شريكة كلايف؟»

نسيت بطريقة مضحكة. تنهدت وهزت رأسها له: «بماذا كنت تعتقد أيضاً؟ مراعاة لطريقة إدعائه ذلك بشأني، سيكون من الصعب بالنسبة لك ان تصدق اي شيء آخر.»

«ربما كذلك. الا انني لا زلت مديناً لك باعتذار. لا زال من واجبي ان أحاول اصلاح الأمر.»

«كما قلت، لقد خدعنا كلانا. كنت قريبة منه كأي شخص، وهو بالتأكيد خدعني.»

توقفت ورفعت وجهها: «حسناً، ربما هذا ليس دقيقاً بالضبط. من الواضح، ان الفتاة الأخرى كانت قريبة بالنسبة

له أكثر مني. أرأيت، لقد كنت مخطئة حتى بشأن ذلك أيضاً.»

«أنا حقاً آسف بشأن ذلك. اعلم كم ان هذا مؤلم.» تابع جوش: «لكن ينبغي عليك ان تحاولي اقناع نفسك انك قد كنت محظوظة بالتخلص من ذلك.»

عرفت سالي ذلك. لقد تخطت تلك العقبة. التي لم تكن صعبة لتتخطاها.

الا انها لم تقل ذلك. بل عوضاً عنه، تنهدت ما ان نظرت إليه. كانت تفكر كم هي سعيدة لأن جوش معها. فليس هناك احد في العالم كان سيقف بجانبها في هذه اللحظة.

قال لها: «طبيعي، ان عقد ايجار المتجر سيُجدد. سأسعى إلى ذلك فوراً. هل تعتقدين انك ستكونين قادرة على مسامحتي؟»

قالت له: «بالطبع. لقد ارتكبت خطأ حقيقياً.»

كان رائعاً ان تعرف ذلك، ان تعرف انه لا يكرهها. عرفت الآن، انه لم يتصرف بدافع الكره، رغم كل شيء لقد فعل ما فعله كما بدا انه سبباً مقنعاً جداً كيف يمكنها ألاّ تسامحه بشأن ذلك؟

«لا زال هناك أمراً صغيراً لم أخبرك به... وربما لن تجدي ذلك سهلاً للمسامحة... لقد اتيت إلى هنا كي أحاول ايقاعك في المصيدة، بالإضافة إلى ايقاف المتجر عن العمل، لقد كلفت شخصاً بمراقبة كلايف... هكذا اكتشفت امر الفتاة. أما انت فقد قررت ان أراقبك بنفسي.

أردت ابقاء الشرطة بعيداً عن أمرك للأسباب التي سبق ان أخبرتك بها، من أجل احترامي لوالديك. لكنني اتصلت بهما هذا الصباح عندما علمت انك لست متورطة واخبرتهما كل

المعلومات. لكن، بمساعدة البوليس أم لا، عزمت كلياً على انتزاع حقي.»

اجابته: «لا ألومك. كنت سأشعر بالطريقة نفسها. وانت كنت محقاً خمسين بالمئة باستنتاجاتك، على أية حال كلايف كان مذنباً تماماً لكلينا.»

«يا لك من فتاة.» هز رأسه باعجاب مذهل: «انني مسرور لأنني لم أذكر أي شيء للعمة ميمي. على الرغم مما جعلتك تعتقدينه منذ البداية، فستكونين مسرورة لسماع انها لم تعرف شيئاً عما جرى.»

ابتسمت: «أجل انني مسرورة.»

الا انه لم يبتسم لها بل ان تقطيبته قد زادت عمقاً: «أنا حقاً آسف، آمل ان تكوني قادرة على مسامحتي؟»

«لقد سامحتك.»

«حقاً؟»

«حقيقة لا أحمل لك أية ضغينة.»

ابتسم أخيراً، ثم قال: «دعينا نتصافح بشأن ذلك.»

«حسناً، لنتصافح بشأن ذلك.» مدت يدها، شاعرة بدفء غريب ينساب في داخلها ما ان مد يده ليمسك يدها.

ويجب ان يكون ذلك نهاية لما حدث. مصافحة قصيرة ويتسامحان. لكن بعد لحظة كانا لا يزالان يجلسان على الكنبة، كل واحد يحدق بوجه الآخر.

كانت على يقين بدقات قلبها التي تسارعت فجأة، شعرت بتدفق الدم في رأسها بانفعال شديد.

لم يتحرك احد منهما لثانية. ثم اقترب ومد يده لرفع سماعة الهاتف.

كان بامكانها ان ترى في عينيه ما خطر في باله ان يفعل كما أملت ويقطع الاتصال. إلا انه في اللحظة الأخيرة لم يفعل لأن جرس الهاتف رن. رفع السماعة إلى اذنه ثم قال: «آلو؟ جوش كينغسلي يتكلم.»

ما ان وضع السماعة جانباً نهض من مكانه، نظر إلى وجه سالي وابتسم ابتسامة يعوزها الانسجام: «اعتقد ان ذلك كان وضعاً تقليدياً للنجاة بواسطة الجرس.»

شعرت سالي ان قلبها يثب. بدت ان برودة مفاجئة قد لامستها. منذ دقيقة كان قريباً جداً والآن قد أصبح بعيداً عنها كالجانب المظلم من القمر.

سألته: «من كان هذا؟»

اجاب غير ملاحظ الألم الذي في عينيها لتركه لها. لم تكن تدرك سوى نوبة الحزن التي مزقتها داخلياً، ما ان اخبرها بصوت هادىء: «تلك كانت كارين. انها في المحطة، سأذهب لاحضارها.»

الفصل التاسع

بعد ذهاب جوش، رتبت سالي وضعها، جمعت أغراضها، دونت ملاحظة سريعة قبل أن تغادر الشقة، وسلمتها لروبرت على أن يعطيها لجوش.

كانت الرسالة بسيطة، غير غامضة.

«النجاة بواسطة الجرس... كنت محقاً بشأن ذلك! الشكر له انه انقذنا قبل أن نفعل شيئاً ربما يجعلنا نندم. انني عائدة إلى بلدتي للتغلب على جراحي واقوم بعمل ما. سأراك هناك يوماً ما. اتمنى لك اسعد الامنيات، سالي.»

جلست في القطار في رحلة تستغرق ساعة من الوقت لبلدتها وكررت تلاوة الرسالة في عقلها. شعرت أنها اتخذت التعليق الصحيح، لقد جددت المسافة بينهما من دون الحاجة الغير ضرورية للفتور والعدوانية وهذا ما ارادته لتبقي جوش بعيداً. لتجعله يعرف بأنه لا يعني شيئاً بالنسبة لها... على الاطلاق.

كانت المناظر الطبيعية من خلال نافذة القطار، غير واضحة بسبب الدموع التي ملأت عينيها.

ابتلعت ريقها محاولة تغيير الضيق الذي في حنجرتها. الا أنه لم يتزحزح. كان مستقراً هناك كالحجر. وكان يزداد بطريقة لا يمكن احتمالها كلما فكرت به.

انني أحبه، استمر عقلها يكرر، أكثر وأكثر. أحبه أكثر مما أحب نفسي. وقد احببته دائماً. كان دائماً جزءاً مني.

فقط، حتى اليوم، كنت غير قادرة على مواجهة الحقيقة.

تساءلت في البداية إذا ما كانت كل الانطباعات الشخصية مجنونة. لربما كانت هذه المشاعر تضليلاً نبع بعض الشيء من العواطف المجروحة بسبب اكتشاف خداع كلايف. لربما كانت ردة فعل هستيرية.

غالباً ما تمنت ذلك، انه يفسر ذلك بهذه السهولة. تعرف أن الأمر لم يكن كذلك. فليس هناك عواطف مجروحة بل كان بخصوص كلايف، غضب وخيبة أمل. وأمر آخر، أدركته بقليل من الخجل... شعور بالتحرر من قيد عاطفي.

لم يكن هناك اكثر من صداقة بينها وبين كلايف، حتى أنه، لو كانت صادقة، لم تكن هناك مشاعر عميقة. فهي لم تحبه ولم تفكر جدياً بالزواج منه. لقد زادت صداقتهما لأن ذلك بدا يرضي كلايف، وأيضاً بدا أن صداقته غير مؤذية. تلك كانت الحقيقة الصريحة البسيطة.

قطبت جبينها، فقد بدا الآن أن كلايف قد استغل صداقتها من أجل ربح مالي. وربما عزم على الزواج على أمل السيطرة على المتجر، أو السيطرة على بيع رسوماتها، كما اقترح جوش، وكل الوقت، مع شريكته الشقراء، كان عازماً على تأسيس حياة مزدوجة... وبلا شك، كان ينوي متابعة ذلك.

هزت سالي رأسها. يا لي من حمقاء، لم تتصور أن تتورط مع كلايف ابداً. الا أن الفكرة لم تكن مؤلمة. إنها تضايقها فحسب. لا، إن اهتمامها بكلايف، لم يسبب لها أي جرح لعواطفها.

أما بالنسبة لجوش... فالأمر كان مختلفاً. شعرت أن

الضيق في حنجرتها يزداد بشدة، الدموع الحارة في عينيها تهدد بالانهمار. ما حدث بينها وبين جوش قد اذبل رغبتها للحياة.

في تلك اللحظة عندما ايقنت أنها تحبه، بدا ذلك وكأنه اطلاق سراح، وكأنه تحرر من الدفء الذي في داخلها كان شعوراً كالتخلص من خوفٍ مشلٍ، كُبِحَ طويلاً. وبإختصار، فهي قد ابتهجت بهذا الدفء، الذي ملأها سعادة مفعمة بالأمل والتفاؤل.

الا أن سعادتها كانت قصيرة. لأن جرس الهاتف رن حينذاك.

ابتسمت سالي ابتسامة ملتوية. قد نسيت أمر كارين. كارين الحاضرة دائماً، التي كانت عاجزة جداً، لقد اتضح الآن، انها لم تهرع فقط إلى جوش بكل متاعبها، الا أنها أيضاً غير قادرة على استئجار سيارة من المحطة! عليها أن تتصل بجوش كي ينقلها.

لكن ربما كان من الأفضل أن تتصل كارين. اخذت سالي نفساً عميقاً. ليس هناك أي سبب كي تبدو منافسة لها. كيف كان سيبدو الأمر لو أن كارين حضرت إلى الشقة لتجد جوش مع سالي؟

قررت أن ذلك شيء سيء بالنسبة لكارين. شكت أن يكون الأمر من وجهة نظرها هو افضل بالنسبة لها!

اتكأت سالي للوراء في مقعدها واخذت نفساً عميقاً للحظة. انها تفكر بهذه الأفكار الوقحة لتوقف نفسها عن البكاء.

ماذا يعني ما قاله لها: «لا زلت أشعر بأنه من واجبي أن احاول القيام بالاصلاح؟»

لهذا السبب كان لطيفاً جداً معها، لِمَ كان يؤاسيها لأنه شعر بأنه مدين لها بذلك.

كانت فكرة محطمة، الا أن سالي شعرت بأن هذه هي الحقيقة.

ارتجاجة مفاجئة اخبرتها أن القطار قد وصل إلى محطتها. نهضت وتوجهت نحو الباب.

وهكذا، ما الذي تغير؟ اخبرت نفسها وهي مسرعة خلال حاجز التذاكر، ثم إلى الخارج نحو الطريق لتستقل سيارة أجرة. بالتأكيد لا شيء في حياتي موضع خلاف حقيقي. لا زالت لدي اعمالي، لا زال لدي رسمي، كلايف قد ذهب، لكن هذا ايجابياً، وليس سلبياً. بقدر ما أنا وجوش متورطان، لا شيء تغير.

نادت تستوقف سيارة أجرة، وجلست في المقعد الخلفي. ثم قالت للسائق: «هاي ستريت، مساكن دوفيكوت.»

سألت نفسها ما ان انطلقت السيارة: وبالتالي ما هي المشكلة؟ كل ما علي فعله هو أن اتدبر امري كما في السابق.

حدقت إلى خارج النافذة، مختلسة النظر، ممسكة حقيبتها الموضوعة على حجرها باحكام. فقد عرفت أن كل شيء قد تغير في قلبها، إذاً كيف يمكنها أن تتدبر أمرها كما في السابق؟

عضت على شفتها لتكبت رعشة من الألم. لأنها عزمت السؤال الذي ينبغي أن تسأله لنفسها وهو، أين تجد القوة لتتدبر امرها في الوقت الذي تحطم قلبها في داخلها كقطعة زجاج تناثرت قطعاً مزقت أعماقها إلى اجزاء؟

«اريدك أن تتولي السيطرة على ادارة المتجر في غضون ذلك. اعرف انك ستقومين بعمل عظيم.»

اتسعت عينا شيرين وهي تقول مندهشة: «هل تعنين ذلك حقيقة يا سالي؟ لقد اذهلني! لا اصدق ذلك! ولن اخيب املك. اعدك بذلك.»

«اعلم انك لن تخيبي أملي.» ابتسمت لها بلطف: «لدي كل الثقة بكفاءاتك.»

مضت عدة ساعات والفتاتان جالستان في المتجر إلى المكتب يتحادثان ويتناولان القهوة.

اختلست شيرين النظر إلى سالي: «هذا يعني كثيراً بالنسبة لي. كما تعرفين، لا زلت غير قادرة على ايجاد عمل، وليس من السهل العيش بأجر عمل جزئي...» قطعت كلامها وقطبت: «امل ألاّ يكون عرضك هذا مجرد اعطاء فرصة من باب العطف؟ بإمكاني تدبر الأمر. لا داعي لتفعلي ذلك.»

بالطبع لا، انني افعل ذلك للسبب الذي اخبرتك به. هكذا اكرس قسماً اكبر من وقتي للرسم. ولأنني احتاج لشخص اقدر الوثوق به ليهتم بالمتجر وليس بإمكاني التفكير بشخص انسب منك. انك بعملك تسدين لي معروفاً.»

ابتسمت مستعيدة الطمأنينة، وجرعت جرعة من قهوتها ثم نظرت إلى سالي من فوق فنجانها وهي تشعر بالندم تقريباً: «لا اريد أن ابدو بغيضة، لكن اعتقد بأن عليّ أن اخبرك.»

الا أنها قبل أن تقوى على الانتهاء، قاطعتها سالي: «اعرف ما أنت بصدد قوله... انك لا زلت تأملين بالحصول

على وظيفة في إطار الكمبيوتر، لأنك لا تعتبرين هذا امراً طويل الأمد. هذا جيد يا شيرين. انني اتفهم ذلك. وآمل أن تجدي وظيفة أخرى. سيكون كذلك، لو قررت المواصلة في المتجر.»

نظرت إليها شيرين بإعجاب: «هل أنت جادة فعلاً، إذاً من أجل تفرغك للرسم؟ اعتقد أن هذا رائع. برغم ذلك، فانت موهوبة جداً يبدو مخجلاً بالنسبة لك القيام بأي شيء آخر.»

«شكراً لهذه الثقة.» كبتت سالي تدفقاً من السعادة: «هذا ما اردته دائماً وقد قررت الآن فوراً... على الأقل، سيكون الأمر كذلك أن استطعت الرسم مجدداً! سأعطي نفسي مهلة ستة اشهر، وارى كيف تسير الأمور عندها. حتى ذلك الوقت يجب عليّ أن أكون في وضع اتخذ فيه قراراً.»

ابتسمت لها شيرين بابتهاج: «اوه، أنا واثقة بأن ذلك سيكون استعداداً لك! ومع ذلك، قد بعت هاتين الرسمتين من دون ازعاج على الاطلاق. اراهن انه في خلال ستة اشهر ستقف الزبائن في طابور عند بابك الخارجي.»

يا لهذه الفكرة الرائعة!

ضحكت سالي: «هذا سيكون رائعاً، لكن في الوقت الحالي سوف استقر حتى اعلم انني استطيع أن ابيع مجموعة كبيرة من رسوماتي بصورة تجعلني بعدئذ اكرس كل وقتي للرسم.»

وقفت وهي تبتسم ابتسامة سريعة: «من الأفضل أن انطلق الآن، لن اقوم بذلك ابداً ان جلست هنا اتحدث!» شربت فنجان قهوتها: «حان الوقت لأقوم ببعض العمل. تلك اللوحة في الاستديو لن تقوم برسم نفسها!»

«هذا صحيح، عليك الذهاب.» جمعت شيرين فنجاني القهوة وتوجهت إلى الغرفة الخلفية: «تذهبين إلى البيت لتقومي بما أنت بارعة به. لكن لا تعملي طويلاً.» رمت سالي بتقطيبة عبر كتفها: «لقد قال والدي انه عندما مر قرب شقتك بعد منتصف الليل تلك الليلة كانت الأضواء لا تزال مضاءة في الاستديو. التفاني جيد جداً، لكنك لا تريدين المبالغة في ذلك.»

«لا تقلقي، لن افعل.» ابتسمت سالي لاهتمامها بينما كانت تعلق حقيبتها البنية الجلدية فوق كتفها. «ان ذلك مجرد انني انال معظم الهامي بعد منتصف الليل.» رمقت شيرين بانزعاج: «أنت تعرفين كيف نكون نحن الفنانين.» بعدها كانت تتوجه نحو الباب: «سأراك غداً. ليلة هادئة.»

بينما كانت في طريقها إلى المنزل، شعرت أن اشراقها قد شحب. تصارع الحزن في داخلها. ماذا قالت... ان معظم الهامها يحدث بعد منتصف الليل؟ هذا يعد تغطية مدروسة. بعد منتصف الليل عندما تأتي ذكرى جوش لتعذبها، والعمل إلى أن يغلبها النعاس كان الطريقة الوحيدة لطرد هذه الأفكار خارجاً.

ودست يديها في جيبي سترتها، ما ان توجهت اسفل الطريق المؤدي إلى دوفيكوت فلاش. مر حوالي شهر منذ أن رأت جوش آخر مرة. أو سمعت شيئاً عنه، أو وصلتها أي أخبار على الاطلاق. وكأنه اختفى من على وجه الأرض.

كان ذلك أفضل، قالت ذلك لنفسها، عندما وصلت أخيراً إلى المساكن. ليس باستطاعتها تحمل النظر إليه مجدداً،

ماذا لديها لتقوله له؟ كان من الأفضل لو بقي بعيداً عن طريقها.

وحزنها سوف يمر. عرفت أنه سيمر أخيراً في الوقت المحدد. هذا الألم الذي خفق واندفع في داخلها سيزداد ليصبح ليس أكثر من توقاً بطيئاً مؤلماً، ألماً بالكاد تعرفه بعد الآن.

وبعدها سوف تتحرر. لم يعد هناك أي نشاط للبقاء امام اللوح الأسود بعدما فقدت القدرة على الوقوف، فعرفت اخيراً، أن الذهاب إلى غرفتها أصبح مأموناً.

وضعت مفتاحها في القفل. بلى، ذلك اليوم سيأتي. ذلك اليوم حيث لا مزيد من الدموع ولا من الأمل. لا مزيد من رؤية الاحلام التي لن تتحقق ابداً.

لكن ليس الآن. ليس الليلة. لأن هذه الليلة الألم عنيف. ضاغطاً كمسمار يضرب بجمع الكف.

فتحت الباب وتوجهت نحو الاستديو. هذه الليلة ستكون ليلة طويلة أخرى.

بعد يومين، وأخيراً يوم الأحد،أصبحت الصورة التي ترسمها في مراحلها الأخيرة.

قد عملت عليها منذ الصباح، بعد نوم ليلة هادئة، افضل ليلة نامتها منذ اسابيع. قررت باكراً وهي تتناول فطورها انها بدأت التكيف مع الأمور. الأسوأ قد انتهى. لقد امسكت زمام الأمور مجدداً ووضعت جوش حيث يجب أن يكون خارج عقلها وحياتها.

كانت فكرة محررة. بدأت بالرسم بنشاط متجدد. لو استطيع نسيان جوش، يمكنني القيام بأي شيء ولا شيء قادر على ايقافي.

ابتسمت سالي لنفسها في الوقت الذي مزجت الواناً نضرة ربما، في ما بعد، يجب عليها على سبيل التغيير الذهاب لزيارة بعض الاصدقاء للتحدث وتناول القهوة. هذا سيحسن حالها. لقد عملت بجهد مؤخراً، بهوس حقيقي. بشكل يتعب صحتها وقضاء بعض الوقت في الحياة الاجتماعية الودية قد يكون فترة استراحة رائعة.

غمست فرشاتها بالتلوين واستدارت نحو لوحتها الزيتية. شعرت بأنها افضل الآن. انسانة من جديد.

في تلك اللحظة بالذات، وبينما هي واقفة هناك، فرشاتها ترفرف رن جرس الباب الخارجي فجأة.

توقفت سالي واستدارت ثم ابتسمت متذكرة، حسمت الأمر بأن هذه شيرين. لقد قالت شيرين بأنها ستمر ومعها نماذج من بطاقات الترحيب التي جلبها احدهم إلى المتجر البارحة ليريها إياها.

نادت: «الباب مفتوح! انني في الاستديو!»

فتح الباب في الوقت الذي انحنت للأمام وهي تلون اللوحة، كان باستطاعتها سماع صوت اقدام تقترب إلى القاعة: «ضعيها في أي مكان. سأراها في ما بعد.» ثم استدارت مبتسمة: «إذا كيف حالك هذا الصباح؟»

عندها خفق قلبها بعنف بين اضلاعها، ما ان وقفت تحدق إلى وجهه، سقطت الفرشاة من بين اصابعها.

خطى جوش للأمام ثم أجاب: «أنا بخير، شكراً.» ثم انحنى وهو يبتسم ليلتقط الفرشاة ثم قال: «ها هي، يبدو انك اسقطت هذه.»

«شكراً.»

اخذتها سالي وهي متخدرة، كان دمها مضطرباً في داخلها. ما الذي فكرت فيه باكراً أنها تغلبت عليه أخيراً؟ هل بذلك طردته من عقلها ومن حياتها؟ الفرح والحزن يجيشان في داخلها الآن ما ان حدقت عاجزة إلى وجهه. كانت تخدع نفسها، لا زالت تحبه من كل قلبها.

ابتلعت ريقها وقالت: «لِمَ اتيت؟»

انتظرته حتى يجيب، عيناها بحثت عميقاً في عينيه. هل تجرؤ على التخمين أن هذه الزيارة ربما الجواب على احلامها؟

الا أنه تكلم اخيراً قائلاً: «لقد اتينا لنقدم اعتذارنا. اعتذار متأخر، لكنه صادق على الأقل.»

نحن؟ بدت هذه الكلمة كالماء البارد ينصب عليها. شعرت سالي انها تتجمد، ابعدت عينيها عن وجهه، عندما شعرت بحركة في المدخل كان باستطاعتها رؤية كارين من فوق كتفيه تخطو إلى الغرفة.

«سالي.» كانت تتجه نحوها بتقطيبة خفيفة: «أردت المجيء من قبل حالما عرفت... الا أنني ارتبطت بعمل في باريس في الاسابيع القليلة الماضية. فكرت بأن اكتب رسالة أو أتصل لكني أردت أن اكلمك شخصياً.»

توقفت وابتسمت ابتسامة مرتبكة معتذرة: «ما أحاول قوله هو انني آسفة حقاً لوقاحتي معك سابقاً. تجاهلتك بتلك الطريقة.. رفضت التكلم اليك.» عضت على شفتها وتنهدت: «اشعر فعلاً بالخجل من ذلك.»

حافظت سالي على هدوئها بصعوبة. إذاً لا زال الحب متأججاً بين جوش وكارين. أقوى من امنيتها المغفلة،

القصيرة بأن احلامها السرية أوشكت أن تصبح حقيقة!

الا أنها عرفت بأن تلك الأمنية كانت مغفلة. كل ما شعر به جوش تجاهها كان في أحسن الأحوال نوعاً من الصداقة، واسوأ الأحوال، والمرجح إلى حد بعيد ليس أكثر من عطف وشعور بالندم.

نظرت إلى كارين، وقالت لها: «لا تقلقي، انني اتفهم ذلك. الطريقة التي سارت بها الأمور تجعل غضبك مني طبيعياً.»

مدت كارين يدها: «انا حقاً آسفة. هل تسامحينني؟ لن اطمئن حتى تسامحيني.»

«سامحتك.» مدت يدها بذهول لتمسك يد كارين، لكن فجأة امسكها جوش بذراعها.

ابتسم ثم قال: «لقد نسيت الفرشاة.»

«أوه، بلى. الفرشاة.» كان محقاً تماماً. فقد نسيت سالي تماماً أمر الفرشاة التي لازالت في يدها. ما إن قابلت عيناه المبتسمتان حتى شعرت أن قلبها غاص فوراً. وضعت الفرشاة على الطاولة، تنهدت بصمت، مستجمعة كل قواها. ثم وبابتسامة مزعجة، صافحت كارين.

قالت للفتاة الأخرى: «لا تقلقي بشأن ذلك. حقاً، ليس هناك شيء لاسامح بشأنه.»

سحبت كارين يدها بلباقة ثم قالت لها: «كان يجب أن اعلم ذلك. لقد عرفتك منذ أن كنا طفلتين. يجب عليّ أن اعرف انك كنت بريئة وانك غير قادرة على فعل أمر كهذا.»

«هناك اشياء كثيرة بشأن سالي يجب أن نعرفها جميعاً.»

اختلست سالي النظر إلى جوش عندما تكلم، ثم نظرت

بعيداً بسرعة، لا تكاد تعرف ما كان يقول. كل ما عرفته هو أن قربه كان يخنقها.

ارادته أن يبقى، الا أنها عرفت بأنها غير قادرة على تحمل ذلك ايضاً.

«لقد سمعت أن كلايف قد أوقف وسيقدم للمحاكمة حالاً.»

اطمأنت عندما تكلمت كارين مجدداً. ركزت سالي نظرها إلى وجهها، وعلقت قائلة: «أجل، هذه اخبار سارة بالفعل.» ابتسمت: «آمل أن تنجحي في الحصول على بعض النقود التي سرقها منك.»

أومأت كارين: «سيكون ذلك رائعاً. لكن الأمر الرئيسي هو أن لعبته الحقيرة قد انتهت... وباستطاعتي أخيراً أن ابدأ ببيع اعمالي تحت اسمي الخاص.»

اختلست النظر إلى ساعتها: «هاي. حان وقت الذهاب! لم اعرف أن الوقت تأخر إلى هذه الدرجة.» ابتسمت لسالي: «آسفة مجدداً. وشكراً لقبولك اعتذاري. أنا حقاً اعنيه من صميم قلبي.»

«كما قلت، كل شيء على ما يرام.» بدت الكلمات وكأنها تخرج تلقائياً من فمها ما أن بدأت كارين تستدير للذهاب، فكرة واحدة فقط كانت في عقل سالي. هل الأمر كذلك؟ هل جوش علي وشك الذهاب أيضاً؟

بدا اكيداً، وكأن ذلك ما تنويه كارين. وضعت يدها على زند جوش وكأنها على وشك أن توجهه للذهاب معها. لكن بعدها قالت: «سأراك في ما بعد يا جوش... وأنت ايضاً، أمل أن اراك، يا سالي.»

«بالطبع.» اومأت سالي. فجأة بدأ قلبها يخفق مجدداً. لن

يذهب، ليس حتى الآن. شعرت ان دمها يتدفق بدفء مجدداً.

لا أحد منهما تكلم إلى أن اغلق الباب الخارجي خلف كارين ثم خطى مبتعداً قليلاً، موسعاً المسافة بينهما. نظر إلى الطاولة الخشبية حيث تضع سالي الالوان والاغراض للحظة نظرة تحمل شيئاً من الغرابة.

ثم قال لها: «لقد اخبرني محامي العمة ميمي انك قد اتخذت حق الاختيار بشأن عقد الايجار سامحاً لك بإنهائه في أي وقت.»

«أجل، هذا صحيح.» لا زال من الصعب النظر إليه. كل مرة تنظر فيها إلى عينيه شيئاً ما في اعماقها بدا وكأنه يتوهج ثم يخبو في اللحظة نفسها، رؤيته كانت فرحة كبيرة، الا أنها في الوقت نفسه صراعاً عنيفاً.

تنهدت: «من المحتمل أنك تعلم أنهم عندما ارسلوا لي عقد الإيجار لأوقعه، حذرتهم بأنني ربما لا أريد الاحتفاظ بالمتجر لمدة طويلة، لذا وضع شرطاً يسمح بانهائي لعقد الإيجار متى رغبت أنا بإبلاغي للمالك قبل مدة شهر.»

«أجل، هذا ما بلغني.» لا زال يراقبها عن كثب، ضاقت العينان السوداوان، تعبيره شديد الحرص: «آمل أن لا تكون دوافعك لفعل ذلك سلبية؟»

قطبت، غير واثقة تماماً من استيعابها لما قصده ثم سألته: «سلبية... في أي مجال؟»

هز كتفيه: «آمل أن لا تخططي للفرار. الأفراد احياناً يشعرون أن الدوافع لفعل ذلك بعد مرورهم بتجربة قاسية كتجربتك. أنت تعرفين... انسي كل شيء، قومي ببداية مفعمة بالنشاط.»

بلى، قد كانت على حق. العطف والشعور بالندم... هما كل مشاعره التي يكنها لها. بذلت جهداً لكبت الشعور الذي جعلها تشعر بهذه الطريقة التعيسة البائسة.

هزت رأسها. لا تريد عطفه، قالت بصوت مسموع: «لا، ليس هذا هو الدافع، أنني اريد فقط أن اكرس كل وقتي للرسم. على الأقل، أريد البقاء ستة أشهر ربما كانت قابلة للتجديد. لا أريد قطع طريق العودة قبل أن أكون واثقة.»

«لست قلقاً بشأن طريق العودة. بإمكانك تدبر الأمر. أنا واثق، بشأن ذلك.» ابتعد عن الطاولة فيما هو يتكلم متجهاً نحوها، مراقباً اللوحة خلفها: «أقول انه لا شك بشأن ذلك، لو كان هذا هو ما ستقومين به.»

«شكراً.» توردت سالي بالسعادة: «انها لم تنته تماماً بعد، لكنها على وشك الانتهاء.»

«لقد اعجبتني هذه الرسمة. هل لديك مشتري؟»

«مشتري قدير. لقد رفض في البداية لكنه اشترى مؤخراً لوحتين من رسوماتي. اترى، لقد بدأت البيع قبل الآن.»

«أجل اعلم.» كانت هناك نظرة غريبة في عينيه. كان هناك شيئاً لم يقله، شيئاً يكبته. استطاعت أن تشعر به فجأة بقوة.

نظرت إلى وجهه ثم قالت: «أنا مندهشة.»

«لِمَ؟ ربما كنت خارج البلاد، لكنني لم اقطع الاتصال نهائياً، فالمرء يسمع عن اشياء كهذه.»

«هل يسمع حقاً؟»

كان عليها أن تشيح بنظرها للحظة. إذاً، لقد كان خارج البلاد على الأقل. هذا يفسر أمراً واحداً... مع من كانت

كارين مرتبطة في باريس. لا يهم أين كانا، ما هو مؤلم انهما كانا معاً، وقد تكهنت بذلك سابقاً.

نظرت إليه مجدداً، محاولة دفع حماقتها جانباً. كان باستطاعتها أن ترى أنه لازال هناك نظرة في عينيه تخبىء امراً.

قال وهو يستدير مرة أخرى ليختلس النظر إلى الصورة: «أنا أكيد بأنك ستبيعين هذه بسهولة. زبونك... لا أظن انه يرفض. في الحقيقة أنا واثق من أنه سيشتريها بسرعة.»

«لِمَ أنت واثق إلى هذا الحد؟» خوف مفاجىء سرى في داخلها. ضمت قبضتيها، ثم قالت مجدداً بشدة: «لِمَ أنت واثق إلى هذا الحد؟»

«لأنها رائعة. برأيي اعتبرها رائعة.»

إلا أنه أبقى نظره بعيداً عنها، وكلما استمر بعدم تطلعه إليها كلما أصبح الارتياب موطداً بشدة في عقلها.

كان جوش هو من اشترى لوحاتها! كان المشتري المجهول! وقد فعل ذلك لأجل مساعدتها وهو غير نادم!

كانت فكرة لا يمكن احتمالها. ايقظتها من ذهولها. مدت يدها فجأة وأمسكت بذراعه وشدته بقوة ليستدير لمواجهتها.

«ما الذي تخبرني به؟ بشأن الرسومات اليس كذلك؟ حسناً، اعتقد بأنه ينبغي أن تتوضح الأمور! لدي الحق بأن اعرف.»

جالت عيناه عليها، قطب للحظة. ثم، لدهشتها التامة، امسك بها: «انت هي التي يجب أن توضح الأمر!» كان يلومها بألفاظ جارحة: «أنا هو من لديه الحق بأن يعرف!»

تجمدت بسبب تذمره، خفق قلبها في داخلها بسرعة: «لا اعرف ما تعني! ليس لدي أي شيء لأوضحه! أنت هو من يخبيء أمراً!»

قال بنفاد صبر: «أخبيء امراً! أنت من تخفين اموراً باستطاعتك اخفاء الحقيقة لسنين!»

«أية حقيقة؟» ذهلت. ما الذي يربكه؟ ألأنه كان منزعجاً. ومن خلال الضيق الذي يصب فيه كان باستطاعتها أن ترى أن امراً يحطم قلبه. سألته مجدداً: «أية حقيقة؟ عمّ تتكلم؟»

تنهد جوش، وكأنه يهدىء انفعاله. إمساكه بذراعها كان قاسياً وشديداً. ثم قال بتنهيدة: «انني اتكلم عن العقد. ذلك العقد الخاص بالعمة ميمي الذي تركتني اصدق بأنك حاولت سرقته كل تلك السنين... الآن عرفت انك لم تحاولي سرقته أبداً.»

نظرت إليه سالي، عيناها متسعتان. من أين انبعث ذلك؟ كانت في غمرة اتهامه بشرائه لوحاتها سراً، وفجأة تكلم بشأن عقد العمة ميمي!

لكن ما إن هزها مجدداً، ملتمساً الرد، اضافت: «لا، بالطبع لم احاول سرقته ابداً.»

اشار جوش: «لقد اخبرتني كارين. الليلة الماضية كنا نتحدث عنك في شقتي وعن المعاملة السيئة التي عاملناك بها... وبينما نحن نتحدث تذكرت القصة التي اخبرتها بها لوسندا منذ سنين... والقصة عن كيفية رسم لوسندا لحظة سرقة العقد وجعلت ذلك يبدو وكأنك حاولت سرقته...»

«هل اخبرتها لوسندا بذلك؟»

«واضح أنه منذ سنين طويلة. لوسندا اعتبرت الأمر كله

لرحة مروعة. لم تفكر كارين بأي شيء في ذلك الوقت. ليست لديها أية فكرة، ذلك الحادث جعل مشاعري بغيضة نحوك لسنين.»

شعرت سالي أنها تتورد للندم البادي في صوته. الا أنها اجبرت نفسها على أن تقول: «بالتأكيد بغيضة؟ ربما انت لم تصدق بأنني كنت لصة ابداً، لكن الحقيقة هي، مهما يكن فأنت لم تحبني حقاً ابداً.»

رفع جوش حاجبيه عند سماع ذلك: «بالطبع احببتك. لِمَ تقولين امراً كهذا؟»

«كان مجرد شعور ينتابني.» نظرت إليه بشوق. هل تلك صدمة حقيقية ما رأتها في عينيه؟

بالتأكيد بدا مصدوماً وهو يجيب: «إذاً أنت مجنونة! ان كان ذلك ما تعتقدينه، فهذا كله من صنع خيالك! لست فقط أحبك، بل بالنسبة لي أنت فرد من العائلة! لِمَ إذن احتفظت بتلك الصورة التي اتكلم عنها؟»

ابتلعت ريقها وقالت: «الصورة التي في شقتك ذات الاطار الفضي.»

فكرت سالي، أن وجودها في تلك الصورة لم يكن سهواً، برغم كل شيء. عضت على شفتها ونظرت بعيداً بسرعة، توردت بالسعادة والارتباك.

أضافت: «لا أعرف لم اعتقدت ذلك... ربما لمجرد مشاعر الطفولة الغير واثقة، لكنني فعلاً اعتقدت بأنك لا تحبني إلى هذا الحد.»

«حسناً، اعتقد بأنك أنت الشخص الوحيد الذي اعتقد ذلك!! لكن لوسندا كانت تغار منك وتعتقد بأنني متيم بك.»

«لوسندا كانت تحسدني؟» اذهلتها هذه العبارة. من دون تفكير، وجدت لنفسها تقول: «أنا من كنت احسدها!»

تلك اول مرة تعترف فيها بذلك، حتى لنفسها. كل ما قالته على أن رفضه لها كان حسداً حقاً! لكنها رغبت من كل قلبها لو أنها لم تقل ذلك.

تعذبت داخلياً بسبب حماقتها، حدقت إلى الأرض، راجية أن تقدر بكل قوتها كبت ذلك.

شعرت بالثقة بأن جوش كان يسخر منها عندما أجاب: «اشعر بأنك اشبعت غروري.»

عم الصمت واستمرت بتحديقها إلى الأرض.

سألها: «لِمَ لم تخبريني منذ سنين بشأن العقد؟»

«لم اعتقد ان ذلك يهم.» وجدت من الصعب النظر إليه. توقعت ان يبتسم لها بسخرية، لكنه لم يفعل.

«لم تعتقدي أن ذلك لا يهم، ألأنني لم اكن احبك على أية حال؟ هل هذا ما تقولينه؟»

«أجل، اعتقدت ذلك.» الا أنها ايقنت أن هناك سبباً آخر أكثر مراوغة أيضاً. لجأت لسوء التفاهم كي تبقي الفتور بينهما. كانت خائفة من التقرب جداً إليه اكراماً لقلبها.

«تمنيت لو انني عرفت. تمنيت لو انني عرفت منذ سنين.» تنهد جوش: «ربما لو عرفت الحقيقة بشأن العقد لما كنت اقتنعت بسرعة انك كنت متورطة مع كلايف.» وقف بعيداً ونظر إليها: «كم من السنين قد اضعنا أنا وأنت.»

«أضعنا؟» ماذا يقول؟ خفق قلبها فرحاً فجأة. حاولت كبت مشاعرها فقالت: «بإمكاننا أن نكون صديقين.»

استمر بمراقبتها: «أجل، نقدر. لكن في النهاية هذا لا يهم.»

قالت بصوت منخفض: «لا، بالطبع لا، هذا لا يهم.»

عم الصمت. كان باستطاعة سالي أن تسمع صوت انفاسه بينما هو يراقبها. ثم قال: «هل تعرفين اين كنت في الأسابيع القليلة الماضية؟»

كانت على وشك أن تقول لا، ثم تذكرت فجأة. أجابت بوجهٍ قاسٍ: «مع كارين، في فرنسا.»

«ماذا؟ مع كارين؟ ماذا أفعل مع كارين؟»

«لا اعرف... ماذا يفعل الناس في فرنسا... اقصد، انها صديقتك.»

تعجب قائلاً: «ماذا؟» أمسك بها فجأة وضحك: «إذاً هذا ما كنت تعتقدين؟ لا أصدق ذلك!»

«بالطبع هذا ما اعتقدته. لِمَ أنت مندهش إلى هذا الحد؟»

«لأن كارين لم تكن ابداً فتاتي.» هزها بلطف: «أنت فتاة مغفلة. كارين وأنا مجرد صديقين! لم نكن ابداً اكثر من مجرد صديقين!»

حدقت إليه، مذهولة، متسائلة ان كانت تجرؤ على تصديقه. قالت: «إذاً ماذا كنت تفعل هناك؟»

كي يزيد من دهشتها، اجاب جوش: «ما كنت افعله هو اجراء مقابلات مع كل اصدقائي عبر البحار، ارتب الأمور بحيث اكون بحاجة لقضاء اقل وقت ممكن في الخارج.»

سكت ونظر إليها، فجأة اصبح تعبيره جاداً ثم سألها: «هل تريدين أن تعرفي لم فعلت ذلك؟»

أشارت سالي وهي لا تزال شبه منبهرة باحساسها

بالذهول. كانت تفكر أنها في تلك الأوقات قد رأت كارين في المنزل الكبير.

استمر ممسكاً بها في الوقت الذي تابع شرحه لها: «اعرف من خلال التجربة أن نوع الحياة التي أحياها... اتجول بسرعة في طول الكرة الأرضية وعرضها كل الوقت... هو أمر جيد لرجل عازب، لكن ليس لرجل متزوج ولديه اطفال. ولهذا قررت أن اجري بعض التغييرات.»

تنهد: «أنا لا أحاول أن أفرض نفسي عليك بسرعة. أعرف بأنه لا زال علي أن اتودد إليك اكثر... وأعلم بأنه عليك الانتهاء من الشفاء من كلايف. اعتقد بأنني يجب أن اعلمك، فأنا أريد الزواج منك، يا سالي.»

«أتزوجك؟»

«ليس عليك التفكير بشأن ذلك الآن.. كما قلت، لا أريد أن ارفض...» ثم توقف، عيناه مغشيتان، ما إن بدأت تهز رأسها.

«لا، جوش، أنت مخطىء.» ذهب ذلك الشعور المنبهر فجأة. بدا كل شيء فجأة بسيطاً وواضحاً، وشعرت أن قلبها يخفق في داخلها كشيء عاصف. هزت رأسها: «ليس عليّ الشفاء من كلايف. كانت غلطة ولم احبه قط. الرجل الوحيد الذي احببته دائماً هو أنت.»

«هل تعنين ذلك؟» العينان اللتان كانتا منذ لحظة مغشيتين اشرقتا فجأة بسعادة مدهشة: «وانا قد احببتك دائماً. على الرغم من تلك الرسالة القصيرة المثبطة للعزيمة التي تركتها لي.» ابتسم وتابع: «تلك الرسالة هي التي جعلتني اقرر بأنك ربما بحاجة لبعض الوقت... للشفاء من كلايف والماضي.»

«ليس لهذا السبب كتبت الرسالة. كتبتها لأنني عرفت فجأة بأنني أحببتك... واعتقدت بأنك على علاقة مع كارين.»

«يا لنا من ثنائي مغفل!» ضحك جوش وتابع: «لنذهب إلى أي مكان هادىء، ولنقضي السنتين القادمتين بعيداً عن كل سوء التفاهم البغيض هذا الذي ابتدعناه نحن ونبدأ بالتعرف على بعضنا البعض بدقة.»

قالت له: «الأمور الأولى أولاً، هل أنت من اشترى رسوماتي؟ علي أن اعرف الحقيقة؟»

قطب جوش، ثم تعاطف معها: «إذاً هذا ما كنت تسعين لأجله؟» هز رأسه: «لا، لم اشتر رسوماتك، ولا اعرف حتى من اشتراها... لكنني اعلم فعلاً بأن لديه ذوق جيد.» ما أن ابتسمت باطمئنان، حتى تابع: «إذاً اجيبي على سؤالي. إلى أين تريدني الذهاب يا سيدة كينغسلي مستقبلاً؟»

«ما الذي يجعلك واثقاً إلى هذا الحد بأنني سأصبح السيدة كينغسلي؟»

«لأنني لن استسلم إلى أن تقولي أجل. لو اضطررت أن اسألك مليون مرة لن استسلم إلى ان تقولي موافقة. تنهدت سالي، وامتلأت بسعادة مفاجئة لم تحلم بها ابداً من قبل. ما هذا الخيار الذي لديها؟

قالت: «أجل.»

* * *

بعد أقل من شهرين، كانت السيدة كينغسلي في الاستديو الخاص بها في ريجينت بارك تنظر إلى الصورة

النصفية التي ترسمها لزوجها... وتبتسم ابتسامة عميقة الرضى.

في غضون اسابيع، تبدلت حياة سالي كلها. لقد سلمت المتجر... شيرين وجدت عملاً!... وانتقلت إلى لندن بعد حفل زفاف سخي حيث ان القرية بأكملها قد تجهزت والعمة ميمي كانت ضيفة الشرف. ولم تكن أسعد في حياتها ابداً.

تمـــــت

www.elramancia.com